معالم الصراع وغاياته في القرآن الكريم

دكتور/ حمادة ربيع عبد الحكيم عبد الرحيم
مدرس بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب ــ جامعة المنيا

المُقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَعَالِي عَنْ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ، الْمُنَزَّهِ عَنْ وَصْفٍ يُدْرِكُ بِهِ حِسٌّ، أَوْ يَخْتَلِجُ بِهِ ضَمِيرٌ. أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَسْبَغَ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَأَبْلَغَ مِنْ دَقِيقِ حِكْمَتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ مُتَحَقِّقٍ لِعُبُودِيَّتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِينِ.

وبعد، فيواجه المتأمل لمجموعة الآيات التي تعطي معنى الصراع في القرآن الكريم بعض التساؤلات بشأن حقيقة وجوده. ومن بين هذه السؤالات: إذا كان الصراع أمرًا حقيقيًا، فمن هم المتصارعون؟ وعلى أي شيء يتصارعون؟ وهل يمكن تحديد معالم لوجود هذا الصراع؟ وإذا كانت هناك معالم له، فهل معنى ذلك أنَّ له أوجهًا يُعرف بها؟ وإذا كان له أوجه، فهل لهذه الأوجه من غايات تعقبها؟ وقد يقال: بأنَّ الصراع شيء حتمي أبدي! وإذا كان ذلك كذلك، فإنَّ من بين معاني هذه الحتمية، أنْ يظل المسلم يصارع الآخر طيلة حياته! وقد يتساءل المسلمون يومًا، لماذا كل هذا الصراع؟.

كل هذه التساؤلات – في الحقيقة – كانت تشغلني كثيرًا، حتى وُفقت لعمل دراسة بسيطة جمعت فيها بعض الإجابات لهذه السؤالات. ولعل أول ما توصلت إليه من حقائق في هذا المضمار، هو أنَّ الصراع سنة إلهية من سنن الله تعالى في خلقه يخضع لها النظام البشري أجمع، وذلك وفق مقادير ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، تجري باطراد وثبات عجيب. قال تعالى: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾(١). وقد أقام الله تعالى مسيرة الحياة الإنسانية وفق هذه السنة. فالحياة محال أنْ يسودها الخير، بحيث تخلو من الشر، أو يسودها الشر بحيث لا يكون فيها داع للخير.

(١) سورة فاطر، جزء من الآية، (٤٣).

ورغم ذلك، فإنَّ حالة من اليأس تَلَبَّس بها كثير من المسلمين عامة، وممن يدعون إلى تغيير واقع الأمة خاصة، وتحويلها عمّا هي عليه من الهوان والصغار، إلى الشموخ والعزة، تزامناً مع الهجمة العالمية الشرسة ضد المسلمين ومن ناصرهم. وفي اعتقادي أنَّ هؤلاء اليائسين لا يدركون حقيقة سنة الصراع، الذي يُعد مناط اختبار لأصحاب الرسالات السماوية ومن تبعهم، والحق يقال: أنَّ الإسلام لا يرغب في الصراع أو الخصومة مع أحد، غير أنَّه قد يضطر إلى هذا الصراع رغمًا عنه، فما شرع القتال إلاّ من حتمية سنة الدفع أو الصراع.

وتحيلنا حالة اليأس التي خيمت على الكثيرين إلى مناقشة محورين أساسيين.

المحور الأول: هو محور حتمية الصراع بين الخير والشر. بين الهدى والضلال، فمنذ أن وُجدت الخليقة وُجد معها الصراع بين الحق والباطل. فكان أمرًا حتميًا متلازمًا، قرره الإله الواحد تقريرًا بيناً، وتوافق عليه العقل والمنطق البشري منذ آدمﷺ إلى يوم القيامة. ورغم هذا التقرير البيّن الوضوح من جميع الجوانب، نرى أناسًا اختاروا ألاّ يروا الحقيقة الواقعة على طبيعتها، بسلوكهم سلوك النعام الذي يتعامل مع خطر المصارع عن طريق دفن رأسه في الرمال، والتصور الوهمي بأنَّه لا صراع ولا حرب.

ولا شك أنَّ هذا السلوك تدعمه الكثير من الاتجاهات الفكرية الفاسدة التي غزت بلادنا الإسلامية، وكانت سببًا في جميع الانحرافات المنهجية والعقدية، والذي كان الهدف منها تغيير وتغييب العقول بخلق حالة من الوعي الجمعي الباطل لعموم الشعوب المسلمة، والوصول بها إلى حالة مزاجية لقبول ذبحها على يد خصومها وأعدائها بلا أدنى مقاومة، بل وتصوير من يقاوم ويدافع منهم ضد المحتل الغاصب بأنَّه إنسان وحشي، وقاتل، وإرهابي.

وعليه، تكون المحصلة النهائية هي شعوب تُستَبَاح دماؤها ومُقدراتها بشتى الطرق اغتصابًا، وقتلًا، ونهبًا. وفي ذات الوقت تعمل جاهدة على تمجيد جلاديها ومغتصبيها وتنبذ بقوة من يحاول حمايتها والدفاع عنها.

المحور الآخر: ويكمن في واجبنا نحن كمسلمين معنيين بهذا الصراع؛ هو فهم حقيقته وإدراك طبيعة الانتصار فيه، إذ إن الانتصار في الصراع ليس هو هزيمة

الخصم في ساحة القتال والحرب فحسب؛ وإنَّما هو ثبات أهل الحق على دينهم ومنهاجهم، وعدم التنازل عن شيء من ذلك.

ومن ثَمّ، فإنَّ فهم حقيقة الصراع من المهام الرئيسة الملقاة على عاتقنا أجمعين، من خلال البحث في معاني الآيات القرآنية، قياسًا، أو تأويلًا، أو تطبيقًا، من ناحية أخرى. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، في محاولة لمناقشة بعض معالم وغايات الصراع، والذي جاء تحت عنوان: معالم الصراع وغاياته في القرآن الكريم.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ترجع أهمية البحث وأسباب اختياره إلى عدة أمور، هي:

- الحاجة الماسة لمعرفة المسلمين لحقيقة الصراع القائم في العالم.
- تصحيح المفاهيم المشوهة نتيجة الحرب الفكرية والعقدية على الأمة الإسلامية.
- بيان الأغراض والنوايا الخبيثة والمقصودة عمدًا من قبل أعداء الإسلام، لدعم الهدف الساعي لإحكام السيطرة على الشعوب المسلمة.
- كشف اللثام عن الحقائق والمشاهد المخبئة على وجهها الصحيح تجاه الأمة الإسلامية، نتيجة لقلة الخبرة والعلم، وغياب الأمة الإسلامية عن ساحة الصراع الحقيقية، مما يصعب عليها تصوره على الحقيقة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي عن دراسات سابقة في موضوع الصراع في القرآن، وجدت الآتي:

<u>الدراسة الأولى</u>: رسالة تحت عنوان: " الصراع بين الحق والباطل، كما جاء في سورة الأعراف"، غير منشورة، للباحث: عادل محمد صالح أبو العلا، مقدمة لجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ. وقد ناقش الباحث فيها:

- الصراع الدائر بين أنبياء الله تعالى وأقوامهم، بداية من آدم، نوح، هود، صالح، لوط، شعيب، موسى، وانتهاءً بخاتم الأنبياء محمد – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين–.

- كيفية دفاع الأنبياء عن دعوتهم، وموقف الأقوام من الدعوة، ومصير الكافرين المعاندين.
- وجه الشبه بين مواقف الكافرين المعاندين من دعوة الرسل، وتعدد أوجه النصر الإلهي لأهل الحق على أهل الباطل.

غير أنَّ الباحث لم يتعرض في دراسته لمعالم وغايات الصراع مطلقًا.

الدراسة الثانية: رسالة بعنوان: " معالم قرآنية في الصراع مع اليهود "، غير منشورة، للأستاذ الدكتور: مصطفى مسلم، الطبعة الثانية، طبعة دار القلم الأولى، ١٤٢٠ه/١٩٩٩م، وقد دار الحديث فيها عن معالم الصراع بين المسلمين واليهود فقط، والذي يأخذ كل يوم أبعادًا جديدة – على حد قول الباحث– غير أنَّه لم يذكر معالم الصراع بين الحق والباطل بصفة عامة، كما لم يتطرق نهائيًا إلى غايات هذا الصراع.

الدراسة الثالثة: رسالة بعنوان: " معالم الصراع الإيماني في قصة موسى "، غير منشورة، للباحث: جمال محمود محمد الهوبي، مقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين والتربية، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٠٧هـ. وقد ناقش الباحث فيها:

- الصراع الإيماني والقصة القرآنية، ونشأت موسىعليه السلام ونبوته، ومناقبه، ووفاته.
- الصراع بين موسىعليه السلام وبين فرعون، وسحرته، وجيشه.
- الصراع بين موسىعليه السلام وبين وثنية وفسق قومه.

غير أن الباحث لم يتطرق إلى معالم وغايات الصراع مطلقًا.

وبذلك، لم تُقدّم الدراسات الثلاث السابقة شيئًا عن معالم وغايات الصراع في القرآن الكريم، فَعَمَدْتُ – بعد توفيق الله تعالى وعونه – لدراستهما.

منهج البحث:

تقتضي سلامة الوصول إلى نتائج صحيحة، استخدام المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يعتمد على عملية القراءة المتأنية وتحليلها؛ ومن ثَمّ استخراج الفوائد منها، بما يخدم خطة البحث.

خُطة البحث:

هذا، وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تتلوها الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أما التمهيد، فقد جاء تحت عنوان: **مفاهيم الصراع ودلالاته. وفيه ثلاث نقاط:**

أولًا: تعريف الصراع لغة واصطلاحًا.

ثانيًا: تعريف المعالم لغة واصطلاحًا.

ثالثًا: تعريف الغاية لغة واصطلاحًا.

وأما المبحث الأول: الصراع في القرآن الكريم. وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** الصراع في القرآن الكريم بين الحقيقة والتوهم.
- **المطلب الثاني:** الصراع في القرآن الكريم بين القدم والحداثة.

وأما المبحث الثاني: معالم الصراع في القرآن الكريم. وفيه ثمانية معالم:

- **المعلم الأول:** عقيدة التوحيد هي أصل الصراع.
- **المعلم الثاني:** تعدد قواعد التمييز بين الحق والباطل.
- **المعلم الثالث:** ظهور فلسفات مبنية على القول بتعدد الحق.
- **المعلم الرابع:** تعدد أنواع الصراع.
- **المعلم الخامس:** المحاسبة تُلزم الاستقامة.
- **المعلم السادس:** الاستجابة لأهواء النفس لا لأمر الله ﷻ.
- **المعلم السابع:** الجحود والنسيان صفة الظالمين.
- **المعلم الثامن:** استيعاب المواقف وحسن الظن صفة المؤمنين.

والمبحث الثالث: غايات الصراع في القرآن الكريم. وفيه ست غايات:

- **الغاية الأولى:** إثبات الوحي والرسالة.
- **الغاية الثانية:** إثبات أنَّ الدين واحد وأنَّه يخرج مِن مشكاة واحدة.
- **الغاية الثالثة:** التأكيد على العداوة الخالدة بين آدم عليه السلام وإبليس.
- **الغاية الرابعة:** بيان نِعم الله على أنبيائه وأصفيائه ونقمته على أعدائه.
- **الغاية الخامسة:** العُقْبى في الصراع لأهل الحق.
- **الغاية السادسة:** ضرورة التعايش السلمي مع الآخر جنسًا وعقيدة.

وبعد المباحث الثلاثة، جاءت الخاتمة، وبها أهم نتائج البحث وتوصياته.

التمـــــــهيد

مفاهيم الصراع ودلالاته

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يشير القرآن الكريم في مواضع للصراع أو المدافعة عبثًا، وإنَّما – إحقاقًا للحق– توجد عدة دلالات من وجوه تناول القرآن الكريم لأنواع الصراع في مواضع كثيرة منه، حيث تختلف دلالة الصراع فيه من موضع لآخر، يحدد ذلك السياق النصي. لذلك سوف تَرِدُ هذه الدلالات مبثوثة في مواضعها داخل البحث.

وقبل الشرع في تعريف لفظة الصراع، ينبغي الإشارة هنا، إلى أنَّ تناول لفظة الصراع لن يكون مقصورًا على حدود اللفظة أو المفردة، وإنَّما سيقوم الباحث بجمع واستقصاء الآيات الدالة على المعاني التي تقوم مقام لفظة الصراع، باللفظ أو الإشارة، أو المعنى، من مثل المدافعة، التحدي، وما شابه ذلك.

أولًا: تعريف الصراع، لغة واصطلاحًا.

أ. الصراع لغة: الصرع، الطّرْح بالأرض[١]، صرَعْتُه أصرَعه صرْعًا. وصِرعًا فهو مصروع، وصَريع والجمع صرْعى، ورجل صرّاع وصِرّيع بيّن الصَّراعة وصَروع: شديد الصرْع وصُرَعة، كثير الصرْع لأقرانه[٢]. والصِّراع: " مُعالَجَةُ القِرْنَيْنِ أيُّهما يَصْرَعُ صاحبَه"[٣]. ويُقال: هو ذُو صَرْعَيْنِ، أي: ذو لَوْنَيْنِ. وتَرَكْتُهُم صَرْعَيْنِ: يَنْتَقِلونَ من حالٍ إلى حالٍ[٤].

ب. الصراع اصطلاحًا: " الصراع عادة ما يشير إلى حالة أو وضع تقوم فيه جماعة من البشر بالاشتباك في نوع من المعارضة الواعية مع جماعة أخرى، أو أكثر من جماعة، على أساس أنَّ الجماعات المناوئة تبدو أنَّها تسعى إلى أهداف لا تقبلها الجماعة الأخرى، فالصراع هو نوع من التعامل حول قيم ودعاوى بشأن موارد

(١) انظر: محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور(ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، باب(صرع)، جـ٢، ص٢٤.

(٢) انظر: علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي أبو الحسن ابن سيدة(ت٣٩٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، كتاب(النخل)، جـ٣، ص٣٥٠.

(٣) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، باب(صرع)، جـ٢١، ص ٣٣٥.

(٤) انظر: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، فصل (الصاد)، جـ٤، ص ٩٦،٩٧.

وسلطة، أي أنَّ الصراع ينطبق على التفاعل الذي يحدث بين البشر وبعضهم البعض، فهو أكثر من التنافس الذي هو أبسط صور الصراع"[١].

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي، يمكن القول: بأنَّ مادة صرع تدور حول عدة معان، هي: التعارض والاختلاف، انعدام الرضا، التفنن، التفهم، التغير، التغلب.

من ذلك، يمكن وضع **تعريف لمصطلح الصراع** في القرآن على أنَّه: حالة جدلية بين قوتين لهما أفكار وعقائد مختلفة، ووجهات نظر متفاوتة. كالصراع بين أهل الحق، وأهل الباطل، أو أهل الخير، وأهل الشر. فكل يصارع من خلال نظرته للمواقف المختلفة بحجج وبراهين، يراها كل فريق على أنَّها حق بالنسبة له.

ثانيًا: تعريف المعالم لغة واصطلاحًا.

أ. المعالم لغة: جمع معلم، وهو في اللغة: الأثر الذي يُستدل به على الطريق، ومَعْلَم الطريق: دلالته، والمعْلَم: ما جُعل علامةً وعَلَمًا للطريق والحدود، مثل: أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه. ومعلم الطريق دلالته، ومعلم كل شيء مظنته، وفلان مَعْلَم للخير كذلك[٢].

والمعنى الذي قصدته في بحثي هذا يميل إلى تعريف المعالم بالدلالة؛ لأنني قصدت معرفة دلالة النموذج المعرفي الإسلامي، وأثر ذلك في استنباط معالم وغايات الصراع في القرآن الكريم.

ب. المعالم اصطلاحًا: من خلال التعريف اللغوي يمكن وضع تعريف شامل للمعالم، بأنَّها: مجموعة العلامات أو الدلائل التي يمكن استنباطها من العبارات والمواقف الدالة على الحقائق المطلوبة.

ثالثًا: تعريف الغاية لغة واصطلاحًا.

أ. الغاية لغة: من (غيا) والغياية: ضوء شعاع الشمس، وليس هو نفس الشعاع. والغاية: مدى الشيء، ومنتهاه، والجمع غاي، وغايات، والغاية: الراية، يقال:

---

(١) انظر: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، إدارة الصراعات والأزمات الدولية، نظرة مقارنة لإدارة الصراع العربي الإسرائيلي في مراحله المختلفة، ص١٥، د. الأزهر ضيف، أ. جميلة زيدان، نقد نظرية الصراع واسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخض، الوادي، العدد٢٠، ديسمبر٢٠١٦م، ص١٨٩.

(٢) انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، باب مقلوبة (م ع ل)، جـ١، ص ٢٦٣، الزَّبيدي، تاج العروس، فصل (العين)، جـ٣٨، ص ٣٢٩.

غييت غاية وأغييت، إذا نصبتها، وغاية الخمار: رايته، و"غايتك" أن تفعل كذا، أي نهاية طاقتك أو فعلك[1].

ب. الغاية اصطلاحًا: من خلال التعريف اللغوي السابق للغاية، يمكن وضع تعريف جامع لها، فالغاية: هي المحصلة المرادة من كل الأعمال والسلوكيات التي يُؤديها الإنسان، أو: هي النتاج المرغوب فيه من نهاية كل عمل، وهو ما يجعل للغاية مفهومًا أوسع وأكثر شمولًا من الهدف.

(١) انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، فصل(غيا)، جـ٨، ص ٣٨١، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري(ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت. كتاب (الغين)، جـ٢، ص ٤٥٧.

المبحث الأول

الصراع في القرآن الكريم

قد يظن البعض أنَّ معاني آيات الصراع في القرآن الكريم هي دعوة للتنازع والاختلاف والفرقة والتشرذم بين أهل الإسلام والفرق والنحل الضالة عن هديه القويم، أو بينهم وبين المخالفين لهم في العقيدة والفكر، لكن الحق يقال: أنَّ هذه الآيات جاءت بصورتها التي هي عليها كي تُناسب وتُلاءم الطبيعة البشرية في اختلافها جنسًا وعقيدة وبيئة ومعيشة. والدليل على ذلك، هو ما نص عليه القرآن ذاته من أنَّه، إنَّما جاء من أجل إسعاد البشرية كلها، لا من أجل إشقائها، حتى وإن هم لم يؤمنوا بما جاء به، قال الله: ﴿..**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[1].

المطلب الأول: الصراع في القرآن الكريم بين الحقيقة والتوهم.

القرآن الكريم بجملته يُعد رسالة للانسجام والتوافق، وتحقيق السلام بصورته المثلى، ولا يمكن لأحد أنَّ يتوهم أنَّ فيه دعوة للخلاف أو الاختلاف أو الصراع، أو ما هو في المعاني السابقة؛ غير أنَّه لا يمكن تحقيق هذا الانسجام والتوائم تلقائيًا، وإنَّما يلزم ذلك شكلًا من أشكال المواجهة والمكاشفة بين الإسلام ومخالفيه، سواء كانوا من أبنائه أو خصومه. هذه المكاشفة ستؤدي بالضرورة – حتمًا– إلى ظهور نوع من أنواع الاختلاف في الأفكار المتنوعة والرؤى المتباينة بين الإسلام ومخالفيه؛ ليبرز في نهاية ذلك كله؛ أنَّ الإسلام رسالة سلم وسلام، ومنهج أمن وأمان وعدل ونظام. وبهذا يمكن للمخالفين أن يختاروا العيش في ظل منهج القرآن الكريم لما يرون فيه من الإدارة الحكيمة، والقيادة الرشيدة لجميع الأمور في الحياة.

والخلاصة، أنَّ الإسلام لا يرغب في الصراع أو الخصومة مع أحد، غير أنَّه قد يضطر إلى هذا الصراع رغمًا عنه، وما شُرع القتال في الإسلام إلاّ من حتمية سنة الصراع أو الدفع[2] الذي يرغب فيه خصوم الإسلام. وإنَّ ورود الصراع بشقيه الفكري

---

(١) سورة إبراهيم، جزء من الآية، (١).

(٢) شُرع القتال في الإسلام من أجل حراسة الدين والدفاع عنه، لذلك فإنَّ الإسلام يرفض قتال الكفار من أجل ارغامهم للدخول فيه، كما يرفض كذلك مبدأ احتلال أرض الغير بالقوة. انظر: د. محمد سعيد البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، دار الفكر، سوريا، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٩٦،١٩٧، الشيخ الركابي، الجهاد في الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٨١هـ/ ١٩٩٧م، ص٢٧– ٣٨.

والعسكري في القرآن ليس مقصودًا لذاته؛ وإنَّما هو لغاية وهدف أسمى، وهو محاولة إيصال ما جاء به الإسلام إلى من يخالفه في الفكرة والمنهج. والإسلام بذلك لا يكره أحدًا على الدخول فيه، مؤكدًا بذلك على مبدأ الحرية الفكرية، ومشجعًا على الحرية الشخصية، ومعليًا من شأن العقل والمنطق، فالإسلام بذلك يتميز عن غيره من الأديان السابقة، حيث: إنَّه آخى بين العقل والدين، يقول الإمام محمد عبده:" فأولُ أساس وُضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة، وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكمٍ فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يُمْكِنُه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه"(١). والإسلام بذلك يقيم منهجًا متكاملاً في الحوار وحرية المعارضة والاختلاف. قال تعالى: ﴿.. **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ..**﴾(٢). وقال أيضًا: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾(٣). ولعل من الأدلة التي تؤكد سنة الصراع، ما يأتي:

أولًا: القرآن الكريم.

يؤكد القرآن الكريم حقيقة الصراع في كثير من آياته. من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿**فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(٤).
- وقوله تعالى: ﴿**لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾(٥).
- وقوله تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ..**﴾(٦).
- وقوله تعالى:﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا..**﴾(٧).

(١) د. محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، الإصلاح الفكري، والتربوي، والإلهيات، دار الشروق، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩م/ ٢٠١٠م، ص٣٠٣.

(٢) سورة الكهف، جزء من الآية، (٢٩).

(٣) سورة الكافرون، الآية، (١-٦).

(٤) سورة الأعراف، الآية، (١١٨).

(٥) سورة الأنفال، الآية، (٨).

(٦) سورة الأنبياء، جزء من الآية، (١٨).

(٧) سورة البقرة، جزء من الآية، (٢١٧).

- وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً..**﴾[1].
- وقوله: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[2]. وغير ذلك من الآيات التي تؤكد حقيقة الصراع بين المتضادين، الحق والباطل.

ثانيًا: السنة النبوية المطهرة.

لَمَّا رأى أهل مكة أنَّ هذا الدين سوف يسلبهم العظمة الموروثة لهم، ويمنعهم من الانفراد بها، بل قد يُفضل عليهم بعض الموالي والفقراء من عامة الناس، وأنَّه يحكم عليهم وعلى آبائهم ممن يفاخرون بهم بالجهل والكفر، أخذوا يوجهون كل ما في طاقاتهم للصد عن دعوة النبي ﷺ محاولين إقناعه بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، لكنه أبى، وأَجَابَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ هذا العرض بِتِلْكَ الكلمات:" يَا عَمِّ وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ"[3]. حينئذ أجمعوا أمرهم لصده عن دعوته، ومحاولة إيذاء من يستجيب له.

والمشهد السابق، يبين لنا حقيقة حتمية الصراع، المتمثل في شخص النبيﷺ وما يحمله من منهج إلهي، وبين أهل الشرك وما يحملونه من أفكار بشرية.

من هنا يرى البحث أنَّه لا حقيقة لما يشاع في العصر الحاضر؛ بأنَّ عصر الأديان قد ولى، وأنَّ الصراعات القائمة ستكون على الماديات والمصالح.. لكن الدلائل تشير إلى أنَّ حقيقة أصل الصراع إنَّما هي دينية. ولعل من الأحاديث النبوية التي تؤكد حقيقة وجود الصراع، ما يأتي:

---

(١) سورة التوبة، جزء من الآية، (٣٦).

(٢) سورة البقرة، الآية، (١٩٠).

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي أبو القاسم(ت ٥٨١هـ)، الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، جـ٣، ص١١، محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، حداق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٨٦.

- عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابرﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لاَ إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، لِتَكْرِمَةِ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ"(١).
- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الشَّامِيِّ، قال: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ حَدَّثَنِي الأَنْصَارِيُّ، يَعْنِي زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ﷻ وَإِنِّي أَرَاكُمُوهُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ"(٢).
- عن عمير بن هانئ، أنَّه سمع معاوية على المنبر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ"(٣).

ثالثًا: أقوال العلماء.

المتأمل في أقوال أهل العلم يدرك بجلاء أنَّهم يُقررون حتمية الصراع، يقول الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ محمد عبده:" إِنَّ الْمُصَارَعَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قَدْ وَقَعَتْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.. تِلْكَ سُنَّةُ اللهِ فِي الْخَلْقِ، لَا تَزَالُ الْمُصَارَعَةُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالرُّشْدِ وَالْغَيِّ قَائِمَةً فِي هَذَا الْعَالَمِ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللهُ قَضَاءَهُ فِيهِ"(٤).

وبنحو من هذا، يقرر الإمام ابن عاشور، بأنَّ: " الْمُصَارَعَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ شَأْنٌ قَدِيمٌ، وَهِيَ مِنَ النَّوَامِيسِ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا النِّظَامُ الْبَشَرِيُّ"(٥). وإذ قد ثبتت حتمية الصراع بين الحق والباطل، وأكد التاريخ ذلك، فجدير بنا أن نثبت حقيقة مترتبة علي

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، من طريق المغيرة بن شعبة، كتاب (المناقب)، باب (سؤال المشركين أن يريهم النبيﷺ)، حديث رقم، ٣٤٤١، جـ٣، ص١٣٣١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من طريق معاوية بن أبي سفيان، كتاب (مسند الشاميين)، باب (مسند معاوية بن أبي سفيان)، والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات، كما ذكر ذلك شعيب الأرناؤوط، حديث رقم، ١٦٩٧٤ ، جـ٤، ص١٠١.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، من طريق معاوية بن أبي سفيان، كتاب (الامارة)، باب (قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)، حديث رقم، ١٠٣٧، جـ٣، ص١٥٢٤.

(٤) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني(ت١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، جـ٤، ص ١١٧، جـ١٠، ص ٢٧٤.

(٥) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي(ت١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، جـ١٢، ص ١٩٢.

هذه الحتمية، وهي أنَّه لا بد من انتصار الحق على الباطل في يوم من الأيام، وأنَّ انتصار الباطل على الحق، إنَّما هو انتصار وهمي، وليس حقيقيًا.

المطلب الثاني: الصراع في القرآن الكريم بين القدم والحداثة.

الصراع بين الحق والباطل صراع عقدي قديم، وسنة إلهية، قال تعالى: ﴿**سُنَّةَ اللَّه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّه تَبْدِيلًا**﴾(١). ويقول أيضًا: ﴿**..إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾(٢). فلولا الصراع بين الحق والباطل ما كانت هناك جنة ولا نار، قال تعالى: ﴿**...فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾(٣).

لذلك يقول الحق تعالى عن خطورة من نصارع: ﴿**...إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾(٤). فهذه هي سنة الله في خلقه، والتي لا يمكن لها أن تقف عند حد أو زمان أو مكان، بل هي ماضية مضي الليل والنهار. ولبيان ذلك لا بد من ذكر مراحل الصراع، كما وردت في القرآن الكريم، وهي:

- **صراع آدم عليه السلام مع إبليس.**

بدأ الصراع بين الخير المتمثل في سيدنا آدمعليه السلام، وبين الشر المتمثل في إبليس، حينما أمر الله تعالى إبليس أن يسجد لآدم عليه السلام فامتنع إبليس عن السجود له. معللًا امتناعه بعلل واهية، وهي قوله: ﴿**...أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾(٥) ، وقوله: .. ﴿**لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** ﴾(٦).

فلما امتنع إبليس عن السجود، صدر الحكم الإلهي بحقه، جراء رفضه للأمر بالطرد والإبعاد من رحمته، وهذا ما صرحت به بعض الآيات القرآنية. فلم يتقبل إبليس هذا الحكم، وعقب عليه بقوله: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾(٧). فجاءت وصية الله لـــآدم عليه السلام وتحذيره من إغواء إبليس اللعين، بقوله: ﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ**

(١) سورة الأحزاب، الآية، (٦٢).
(٢) سورة طه، جزء من الآية، (١١٧).
(٣) سورة الشورى، جزء من الآية، (٧).
(٤) سورة يوسف، جزء من الآية، (٥).
(٥) سورة الأعراف، جزء من الآية، (١٢).
(٦) سورة الحجر، جزء من الآية، (٣٣).
(٧) سورة الأعراف، الآية، (١٦).

هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ..﴾[1]. فكان هذا بداية الصراع الحقيقي بين الحق والباطل، وبين الخير والشر. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[2].

- **صراع أهل الإيمان وأهل الكفران.**

هبط آدمعليه السلام إلى الأرض جراء معصيته، وبسبب العداوة القديمة بينه وبين إبليس، أخذ إبليس يكيد لبعض ذريته حتى فشا الشرك والانحراف فيهم. فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين. وكان أولهم نوح عليه السلام ليدعوا الناس إلى توحيده تعالى، وترك عبادة ما دونه. فاستجاب البعض لدعوته، ورفضها البعض الآخر، فترتب على ذلك المرحلة الثانية من مراحل الصراع المستمر. وهو: صراع أهل التوحيد مع أهل الشرك. فانقسم الناس إلى فريقين متضادين، بحيث لا يمكن الجمع بينهما. إذ إنَّ وجود أحدهما، يعني بالضرورة نهاية الآخر. ليظل هذا الصراع قائمًا بين أهل الحق وأهل الباطل، في كل زمان ومكان، حتى يتغلب أحدهما على الآخر.

(١) سورة طه، جزء من الآية، (١١٧).

(٢) سورة فاطر، الآية، (٦).

المبحث الثاني

معالم الصراع في القرآن الكريم

لقد حوى القرآن الكريم مجموعة من القصص القرآني، أخبر الله فيها عن أحوال الأمم الغابرة، فهي كسائر القرآن في كل خصائصه وصفاته العامة، من ذلك كونه معجزًا؛ والقصص كذلك، غير أنَّ القصص يرى البعض أنَّ فيها تكرارًا. والصحيح، أنَّ هذا ليس بتكرار؛ لأنَّ: " القرآن كلام الله، وكلام الله منزه عن العبث أو التكرار "[1].

فقد تأتي بعض مشاهد القصة متناثرة في مجموعات من الآيات، لكن المشهد يختلف في كل مجموعة عن الأخرى. وبالتالي تعطينا كل مجموعة من هذه الآيات إضافات جديدة. بحيث إنَّه إذا حاول الباحث فهم معالم قصة من القصص فعليه بجمع واستقصاء كل الآيات التي تخص القصة. عندئذ سيتأكد لديه أنَّه لا تكرار في القرآن؛ لأنَّه سيجد القصة أمامه كاملة مكملة، دون زيادة أو نقصان.

ولعل من أهم فوائد القصص القرآني، أنَّه جاء تسلية وتثبيتًا لقلب النبي ﷺ وتذكيرًا له بأنَّه ليس بدعًا من الرسل، وتقوية لقلوب أتباعه، وكسرًا لنفوس أعدائه. ولما كان ذلك كذلك، كان القصص القرآني بجملته البيئة الخصبة لمشاهد الصراع والتحدي بين أهل الحق، وأهل الباطل، ولعل من أكثر القصص ذكرًا في القرآن قصة موسى عليه السلام فأحداثها تعالج قصة أسوأ البشر في تاريخ الإنسانية. وفي كل مناسبة يذكرنا القرآن الكريم بمشهد من مشاهدها. وعليه، فإنَّ القصص القرآني فيه من معالم الصراع ما فيه، والوريقات التالية سوف تكشف عن بعض منها:

المعلم الأول: عقيدة التوحيد هي أصل الصراع.

تعتبر عقيدة التوحيد هي أصل الصراع بين الحق والباطل، كأساس أول في المواجهة بين الهدى والضلال. إنَّها العقيدة التي يجب أن تكون راسخة في قلوب أتباعها؛ لتكون درعًا صلبًا أمام محاولات التشكيك فيها، وقاعدة نورانية قوية لتجاوز شراك أهل الأهواء والضلال، فحين تترسّخ عقيدة التوحيد لا يمكن لأي دعوات مضللة أن تذهب بها إلى حيث شاءت أن تكون.

ولعل من الأمثلة التي أظهرت أنَّ عقيدة التوحيد هي أصل الصراع، ما يأتي:

---

(١) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، قطاع الثقافة، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، جـ٤، ص٢٥٥٩.

- **قصة أصحاب الأخدود.**

يقول الله تعالى: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾(١). فقد كان أصحاب الأخدود قومًا كافرين، فراودوا المؤمنين من بني جلدتهم عن دينهم، فامتنع المؤمنون عن الاستجابة لدعواهم، فشق الكافرون لهم أخدودًا في الأرض وأضرموا فيه النيران، وعرضوا المؤمنين عليه، ليفتنوهم عن دينهم وعقيدتهم، فمن استجاب لهم أطلقوا سراحه، ومن استمر على إيمانه بعقيدته قذفوه فيه. والحال أنَّهم ما نقموا من المؤمنين إلاّ خَصلة يُمدحون عليها، وبها سعادتهم في الدارين، وهي أنَّهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد.

ولعل ذكر ما وقع من الصراع بين أهل التوحيد وأهل الشرك في سورة البروج، جاء " لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان، وصبرهم عليه من الإيمان، وتصبيرهم على أذية الكفرة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان، وصبرهم على ذلك حتى يتأسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم"(٢).

- **قصة إيمان سحرة فرعون.**

ومشهد آخر من مشاهد صراع الحق فور وصوله للضمائر، وبزوغ نوره في المشاعر. مع مدعي الألوهية، إله الباطل الموهوم، فرعون المتجبر. إنَّه مشهد إيمان سحرته، وهم من كانوا كهنة ديانته الوثنية التي تؤلهه، وتمكنه من مقدرات البلاد، ورقاب العباد باسم الدين! فقد تحولوا من تحديهم السافر لموسى ﷺ إلى التسليم الكامل له ﷺ، وليس ذلك إلاّ؛ لأنَّهم أعلم الناس بحقيقة صنعتهم، وهم أعرف الناس بالذي جاء به موسى ﷺ إنْ كان من السحر أو غيره، أم من القدرة المطلقة التي هي وراء مقدور البشر.

(١) سورة البروج، الآيات، (٤-٨).

(٢) محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ٩، ص ١٣٥.

ولما كان الأمر كذلك، فقد وجد هؤلاء اليقين التام والبرهان الكامل في نفوسهم على صحة ما جاء به موسى عليه السلام، فخروا سجدًا لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾(١).

إنَّها صولة الإيمان في الضمائر، ونور اليقين في المشاعر، ولمسة الهداية للقلوب المهيأة، لتلقي النور المبين، وهذا: " يدل على قوة البرهان الذي عاينوه، كأنَّهم أمسكهم إنسان وألقاهم ساجدين بالقوة لعظم المعجزة التي عاينوها"(٢)، لكن الفراعين لا يدركون كيف يتسرب النور إلى قلوب العباد، ولا كيف يمازج الإيمان بشاشتها، فهم لطالما استعبدوا العباد يحسبون أنَّهم يملكون التصرف في أرواحهم والتحكم في تقلب قلوبهم، وما دري هؤلاء أنَّها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. ومن ثمّ، فوجئ الفرعون بفعل سحرته، كأنَّما كان عليهم أنْ يستأذنوه في أنْ تنتفض قلوبهم للحق والإيمان، وهو لا يدرك أنَّهم في الحقيقة لا سلطان لهم على أنفسهم أو على قلوبهم. قال تعالى: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ..**﴾(٣). وهذه العبارة " فيها رائحة الهزيمة والحمق، وإلاّ فهل الإيمان يتأتى فيه الإذن وعدمه، الإيمان إذعان باطني لا علاقة له بالإذن إلاّ من الله تعالى"(٤).

وبسبب إيمان السحرة، يُطلق الفرعون توعدًا وحشيًا عجيبًا، وهو ليس بجديد، إنَّها وسيلة الفراعين في كل عصر ومصر، في مواجهة الحق المبين؛ فهم لا يملكون دفع الحق بالحجة والبرهان، لذلك كانت عدتهم في وجه الحق: التعذيب والتنكيل، والتشويه. قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(٥).

غير أنَّ النفس البشرية حين تستعلي بإيمانها، فإنَّها تستهين ببأس كل من هو على وجه الأرض من الطغاة، وتحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم، فهي لا تقف لتسأل: ماذا ستأخذ؟ وماذا ستدع؟. وماذا ستجد في الطريق من صعاب وأشواك؟

---

(١) سورة الشعراء، الآيات، (٤٦-٤٨).

(٢) محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م، جـ٤، ص ٦٣.

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية، (١٢٣).

(٤) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ص٢٢١.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان، (١٢٣،١٢٤).

وبماذا ستضحي؟. فالأفق المشرق أمامها هناك، فهي لا تنظر إلى شيء في الطريق سوى ما ينتظرها من النعيم المقيم.

إنَّه الصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفران، إنَّه الصراع من أجل العرش المهدد والسلطان المهزوز، إنَّها معركة العقيدة في الصميم، حيث لا مداهنة فيها ولا مناورة، ولا رجاء الصفح فيها من عدوٍّ لا يقبل إلا ترك العقيدة؛ فهو يطارد ويحارب ويقتل ويعذب من أجلها، قال تعالى: ﴿**وَما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا**﴾(١)، ولا شك، أنَّ الذي يعرف أين مكانه في المعركة، وإلى أين يتوجه، وإلى مَنْ يتجه، لا يطلب من خصمه العفو والعافية والسلامة، إنَّما يرجو من ربه الصبر على الفتنة والوفاة على الإسلام: ﴿**رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْرًا وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ**﴾(٢).

المعلم الثاني: تعدد قواعد التمييز بين الحق والباطل.

إنَّ من أعظم النعم التي مَنَّ الله بها على عباده، نعمة التمييز بين الهدى والضلال، ومعرفة ما يوافق الحق، مما يخالفه. ولعل من أعظم الطرق الشرعية للتميز بين الحق والباطل، هو تعلم القواعد والضوابط المنصوص عليها في القرآن الكريم، التي تمُكن المسلم من معرفة الحق من الباطل، في جميع المسائل من اعتقاد أو عمل ..وغير ذلك. وبوجهٍ عام، فإنَّ من أهم الوسائل في هذا المضمار هو العلم بالقواعد المنضبطة، القائمة على التأصيل، أو التمثيل، أو التدليل أو الاستنباط. ولعل من بين هذه القواعد، ما يأتي:

القاعدة الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٣).

تعتمد القاعدة الأولى على القول بأنَّ: " الحق واحد لا يتعدد "، وهي من أهم الأصول والقواعد التي تحفظ الحق وتبينه؛ وهو ما يُفهم من قوله: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...**﴾(٤). ومرد هذه القاعدة إلى أنَّه لما فشل أهل الباطل في طمس نور

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية، (١٢٦).
(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية، (١٢٦).
(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية، (١٥٣).
(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية، (١٥٣).

الحقيقة، لم يبقَ في جعبتهم إلا التلبيس والتدليس، لمحاولة خلط الحق المبين بغيره من الضلالات. قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ...**﴾(١).

لذلك، فهم يريدون إخماد نور الحق، بالكذب والافتراء تارة، والعيب والانتقاص تارة أخرى، والله مظهر الحق بإتمام دينه، ولو كره الجاحدون المكذِّبون(٢).

ولعل من أعظم الطرق التي حاول أنْ يسلكها أهل الباطل تجاه دعوة الحق؛ هو إشاعة القول بإبطال تفرّده، كقول القائل منهم، مثلاً:

- مَنْ قال بأنَّك على الحق؟.
- مَنْ قال بأنَّ الحق في الأصل واحد ؟.
- القول بنسبية الحق؛ فهم " يقرون بأنَّ كل دين يكشف عن جانب من جوانب الحق، ولهذا كانت الأديان كلها ضرورية من أجل تحصل الحق بأكمله؛ لأنَّ كل دين حسن وحق.. ولا يوجد في نظرهم دين واحد يحتوي عل كل الحق.. فالأديان كلها مذاهب ممكنة لعبادة الله"(٣).

وهذا، ولا شك كارثة كبرى؛ لأنَّه إذا تم التسليم بهذا الكلام؛ كان اليهود عندهم شيء من الحق، والنصارى عندهم شيء أيضًا، والبوذيون عندهم شيء، والقاديانية عندهم شيء، والرافضة عندهم شيء، وإذا كان كل واحد عنده شيء من الحق، فلا أحد ينكر على أحد. ولذلك، لا بد من التنبيه على أصل المؤامرة التي تُنسج خيوطها في الادعاء بأن الحق ليس محصورًا في فرقة، وأنه ليس واحدًا، وبأنه ليس مجموعًا في شيء واحد.

فالمسلمون يُؤكدون على أنَّ الحق واحد، والمقصود بالحق هنا هو صراط الله المستقيم، الذي أمرنا الله تعالى بالتمسك به، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(٤).

---

(١) سورة الصف، جزء من الآية، (٨).

(٢) انظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م، جـ٣، ص ٣١٧.

(٣) د. سعيد محمد حسين معلوي، وحدة الأديان في عقائد الصوفية، مع مقدمة عن الدعوة إلى وحدة الأديان في الديانات الوضعية والكتابية والفرق الباطنة وبين من ينتسب إلى الإسلام في العصر الحديث. مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، ١٤٣١هـ، ص٤٠،٤١، نقلًا، عن د. عبد الرحمن بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص ٥٨- ٦٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية، (١٥٣).

" والمقصود أنَّ طريق الحق واحد، إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة، فإنَّها لا ترجع إلى شيء موجود، ولا غاية لها يوصل إليها... وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود، فهي وإنْ تنوعت فأصلها طريق واحد"(١).

القاعدة الثانية: قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٢).

القاعدة الثانية: " من تجاوز الحق وقع في الباطل"، وهو ما يمكن استنباطه من قوله تعالى:﴿..**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾(٣). فالحق والباطل عدوَّان وضدَّان، لذلك لا يجتمعان، ومثل ذلك: من تجاوز سنة النبي ﷺ وقع في البدعة لا محالة.

ولعل من أمثلة التجاوز والخلط. التجاوز في الخلط بين معنى الشورى باعتباره مبدأ من المبادئ الإسلامية، وبين الديمقراطية. فمبدأ الشورى يقوم في الأصل على مشورة أهل الحل والعقد، فهم الذين يقررون ما يرونه نافعًا، وما هو دون ذلك؛ لامتلاكهم مؤهلات ذلك. وقدْ ذكر الله تعالى الشورى في موضعين من كتابه العزيز، لكلِّ موضع منهما دلالتُه القوية على وجوب العمل بها.

أمَّا الموضع الأوَّل: فهو قوله تعالى مُخاطبًا رسولَه ﷺ: ﴿...**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ..**﴾(٤).

والثَّاني: هو قوله تعالى مادحًا استجابة عباده المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾(٥) .

والمتأمَّل في الآية السابقة، يجد أنَّ الله اعتبر مبدأ الشورى صفة من صفات عباده، وذكره بين ركنيْن أساسيَّين من أركان الإسلام، هما: الصَّلاة، والزَّكاة، وهذا إنْ

(١) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦/١٩٩٦م، جـ١، ص ١٢٧.

(٢) سورة يونس، الآية، (٣٢).

(٣) سورة يونس، جزء من الآية، (٣٢).

(٤) سورة آل عمران، جزء من الآية، (١٥٩).

(٥) سورة الشورى، الآية، (٣٨).

دل فإنَّما يدل على أصالة هذا المبدأ، وأنَّه واجب التنفيذ؛ لما له من أهمية بالغة في رفعة شأن الأمة.

ولقد كان رسولُ الله ﷺ قدوةً حسنةً في تطْبيقه لهذا المبدأ، وإلْزام نفسِه به، وقد اشتملتْ سنَّتُه العمليَّة على صورٍ رائعة لمُشاورته ﷺ لأصحابِه، والتي من بينها: مشاورتهﷺ لهم في غزوة بدر الكبرى(١)، وغير ذلك.

ولعل ما يؤيد عراقة مبدأ الشورى، واضمحلال فكرة الديمقراطية، أنَّ المخولين بالمشورة في الشورى – شرعًا وعقلًا – هم فئة ذات مؤهلات معلومة استحقوا معها أن يكونوا محل الثقة والمسئولية. أما الديمقراطية، فلمَّا كان مبناها على الكثرة العددية لا مصلحة الأمة، فإنَّه لا يُشْترط فيمن يقوم بعملية الانتخاب أو المنْتَخِب كثير من المزايا التي تمكِّن المواطن للإدلاء برأي سليم.

بمعنى أنَّ الديمقراطية لم تجعل الأهلية محل اكتراث بالنسبة للفرد المنوط به القيام بأعباء المسئولية، لذلك كان ضابط الاستحقاق في الديمقراطية هو الحصول على العدد الأكثر؛ لأنَّ الكم بكل سهولة مقدم في الديمقراطية على الكيف؛ لذلك صار الإدلاء بالصوت حقًا مكتسبًا لمن لا يستحق(٢).

فمن هنا صار المبدأ في الديمقراطية، يقوم في الأصل على الكثرة العدية، والأكثرية لا تدل على الحق بالضرورة، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾(٣). وقال أيضًا: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾(٤).

---

(١) فعن ابْن إِسْحَاق فِي السِّيرَة: حُدِّثْتُ عَنْ رِجَال مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أَنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ ﷺ بْنِ الْجَمُوحِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلاً أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلاَ نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ: بَل هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، فَقَال: يَا رَسُول اللَّهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِل، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءِ مِنَ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرَ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِل الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلاَ يَشْرَبُونَ، فَقَال رَسُول اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ. فَنَهَضَ رَسُول اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، فَسَارَ حَتَّى إِذَا أَتَى أَدْنَى مَاءِ مِنَ الْقَوْمِ نَزل عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقُلُبِ فَغُوِّرَتْ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلِيبِ الَّذِي نَزل عَلَيْهِ، فَمُلِئَ مَاءً، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الآنِيَةَ ". عبد الملك بن هشام أبو محمد، السيرة النبوية، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، جـ٢، ص١٧٨ . قال الشيخ ناصر الدين الألباني: في تعليقه على هذا الحديث في فقه السيرة، رواه ابن هشام، عن ابن اسحاق، قال: فحدثت عن رجال من بني سلمة أنَّ الحباب... وهذا سند ضعيف؛ لجهالة الواسطة بين ابن اسحاق والرجال من بني سلمة. انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٩٨٧م، ص٢٢٤.

(٢) انظر: د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري، الشورى والديمقراطية حقيقتهما وأهم الفروق بينهما، جامعة الملك سعود، الرياض، ص٤٧.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية، (١١٦).

(٤) سورة يوسف، الآية، (١٠٣).

ومما يؤكد ذلك، أنَّه لو قمنا بعمل استفتاء لسكان العالم كله، الذي يقدّر عدده بسبعة مليار نسمة، وهذا الاستفتاء على قبولهم دين الإسلام، فلو صوت أربعة مليار بعدم قبولهم له، أو قرر هذا العدد إلغاء ملة الإسلام؛ لأنَّهم هم أكثرية أهل الأرض، عملًا بقول الديمقراطية. وعليه، فهل يمكن أن نأخذ برأيهم!؟. وبذلك يمكن القول بأنَّ الديمقراطية ليست منتجًا إسلاميًا في الأصل.

المعلم الثالث: ظهور فلسفات مبنية على القول بتعدد الحق.

يتوارث أهل الباطل بعض الفلسفات الباطلة – عقلًا، ونقلًا، وواقعًا – المبنية على القول بتعدد الحق، وهذه الفلسفات موجودة في كل مكان وزمان، لكنَّها تختلف في طريقة العرض والمحتوى، فهي دائمًا ما تخرج في قوالب متجددة، ودعايات متنوعة. ومن هذه الفلسفات المبنية على قضية القول بتعدد الحق.

أولًا: فلسفة وحدة الأديان.

يزعم بعض مدعي الإصلاح ونشر السلام في العالم أنَّ وحدة الأديان[1]. ضرورة، ولا بد من سلوك هذا الطريق، للتقريب بينها؛ لأنَّ هذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى السلام العالمي، وأنَّ التمسك بالأديان يؤدي بالضرورة إلى البغض، والتفرُّق، والتشرذم، وقيام الحروب ونشر العداوات. وهذه الفلسفة أو النظرية، لا شك أنَّها مرفوضة رفضًا قاطعًا. وللرد علي بطلانها، يمكن إيراد بعض التساؤلات عن منهج الإسلام مع منتسبيه، وكذلك مع الملل الأخرى:

- كيف يمكن تلاشي البغض عند تطبيق فلسفة وحدة الأديان؟ وقد شرع الله في الإسلام بغض من حاد الله ورسوله من المسلمين أنفسهم، ولو كان الآباء أو الأمهات أو الإخوة والأخوات، قال تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ**

(١) "وهذه المسميات إما أنْ تكون ذات صبغة عامة شاملة لجميع المذاهب والفرق والديانات . مثل العالمية، والدعوة العالمية، الدين العالمي، الديانة العالمية، عالمية الثقافة، التعايش بين الأديان، وحدة الدين الإلهي. وإما أنْ تكون مقصورة على الأديان الثلاثة، والمراد بها الإسلام، والنصرانية، واليهودية... وإما أنْ تكون ذات صبغة ثنائية، التوفيق بين الإسلام والنصرانية، تحت مسمى حوار الأديان، وهكذا. وأصحاب هذا المبدأ يرون أنَّ الأديان كلها – كتابية كانت أم وثنية – سواء، فلا فضل لدين على دين، والكل مهتد سائر على الطريق المستقيم وإنْ تعددت الطرق واختلفت المسالك". د. محمد حسين معلوي، وحدة الأديان، ص٩، ١٠.

وقد اعتبر المستشرق الإنجليزي، نيكولسون: أنَّ نظرية الحلاج- في الحلول والاتحاد- أمر يشي بوحدة العقيدة بين المسلمين وبين المسيحيين. انظر: رينولد نيكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، طائفة من الدراسات قام بها، نقلها إلى العربية، أبو العلا عفيفي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ص١٣٤.

الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ...﴾(١).

- كيف يمكن تلاشي القتال والحروب عند تطبيق فلسفة وحدة الأديان؟ وقد شرع الله في الإسلام قتال الطائفة الباغية من ذوات المسلمين، حتى تفيء هذه الطائفة إلى أمر الله، قال تعالى: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**(٢). وكذلك قتال من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يُحَرِّمون ما حرم الله ورسوله، قال تعالى: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ..﴾**(٣).
- كيف يمكن تلاشي العداوات عند تطبيق فلسفة وحدة الأديان، والإسلام يقرر وجود تلك العداوات من خصوم الإسلام أنفسهم، قال تعالى: **﴿...إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾**(٤).
- كيف يمكن تلاشي البراءة عند تطبيق فلسفة وحدة الأديان؟ والله تعالى ورسوله ﷺ بريئان من المشركين، قال تعالى: **﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**(٥).
- هل تمسك الذين ينادون بوحدة الأديان اليوم بسلامهم العالمي؟ أم أنَّهم أول المحاربين، وحربهم لنا في البلاد العربية والإسلامية واضحة المعالم والأهداف.
- هل طبق الذين طرحوا فلسفة وحدة الأديان، وما تدعو إليه هذه الفلسفة على أنفسهم؟ أم أنَّهم أول المخالفين لها، حيث يشنون الحرب على الإسلام والمسلمين في كل عصر ومِصر، بل إنَّهم لم يفتروا عن ذلك يومًا واحدًا.

---

(١) سورة المجادلة، جزء من الآية، (٢٢).
(٢) سورة الحجرات، الآية، (٩).
(٣) سورة التوبة، جزء من الآية، (٢٩).
(٤) سورة النساء، جزء من الآية، (١٠١).
(٥) سورة التوبة، الآية، (١).

وهذه الفلسفة في الحقيقة باطلة؛ وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة؛ لأنَّ المسلم: " إِذَا كَانَ بِمُوَادَّةِ الْمُحَادِّ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، فَأَنْ لَا يَكُونَ مُؤْمِنًا إِذَا حَادَّ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى"(١) . كما أنَّه لا يمكن أن يجتمع الحب لله ولغيره، ولا الحب لدينه وللأديان الأخرى في قلب واحد. قال تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...**﴾(٢).

مما سبق يتبين لنا، أنَّ الفلسفة القائلة بوحدة الأديان باطلة، وذلك بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومرد هذه الفلسفة هو: بث روح الدعوة الإلحادية، وطمس معالم الدين، وتغيير الفطرة في العالم الإسلامي، والتمهيد مع التأصيل لفكرة المساواة بين الإسلام وغيره من الأديان، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ..**﴾(٣). كذلك لا يستوي الإسلام ولا الكفر، ولا الشرك ولا التوحيد، ولا السنة ولا البدعة.

ثانيًا: فلسفة كل مجتهد مصيب.

الاختلاف سنة كونية من سنن الله تعالى، قال الله: ﴿**...وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...**﴾(٤). ذلك، وأنَّ الاختلاف نوعان: نوعٌ محرمٌ، وهو اختلاف التفرق، وهذا مذمومٌ قطعًا. ويختص به أهل الفرق الضالة والملل المنحرفة، وقد قال تعالى في النهي عن مشابهتهم :﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(٥). وقال أيضا: ﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾(٦).

أما النوع الآخر من أنواع الاختلاف فهو النوع المأذون فيه، وهو اختلاف أهل الحق فيما يسوغ فيه الخلاف من الأمور العلمية والعملية. وأصحاب هذا النوع من الاختلاف مأجورون في اختلافهم بين أجرين أو أجر واحد، غير أنَّه لا يلزم الولاء ولا البراء فيه، وإلاّ كان هذا نوعًا من التعصب والتحزب الذي لا فائدة من ورائه.

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، دراسة وتحقيق: حسين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، جـ٣، ص٧٤.

(٢) سورة الاحزاب، جزء من الآية، (٤).

(٣) سورة فاطر، الآيات، (١٩-٢١) ، جزء من الآية، (٢٢).

(٤) سورة هود، جزء من الآية، ١١٨، وجزء من الآية، (١١٩).

(٥) سورة آل عمران، الآية، (١٠٥).

(٦) سورة الروم، جزء من الآية، (٣١)، والآية، (٣٢).

وعليه، فإذا كان المقصود من فلسفة: كل مجتهد مصيب في اجتهاده، في المسائل غير المحسومة، أو غير المجمع عليها، من فروع الشريعة الإسلامية، كفرع الفقه مثلًا، فالمجتهد فيها مصيب، مأجور، على كل حال. أما إذا كان المقصود هو: أنَّ كل مجتهد مصيب في الأمور التي تخص العقائد، أو الأديان، والعبادات، فإنَّ ذلك يُعد من النوع المحرم المذموم قطعًا. وهو اختلاف تفرق؛ لأنَّ هذا يؤدي بالضرورة إلى المساواة بين الكفر والإسلام، وبين الشرك والتوحيد.

المعلم الرابع: تعدد أنواع الصراع.

نزلت رسالة السماء بمبدأ توحيد الإله الواحد، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾(١). فكان ولا بد من إعادة صياغة الحياة البشرية وفقًا للمبادئ الإلهية السامية، وضبط الممارسات الفردية والجماعية تبعًا لمعايير الحق والصواب. وعلى ضوء ذلك قام النبي ﷺ والأنبياء من قبله، لعمل تصور كلي مرتكز على هذا المبدأ. ومنذ ذلك الحين وبدأت الصراعات الفكرية والعسكرية، بين فريق عقيدة التوحيد وبين خصومها.

أولًا: الصراع الفكري.

المدقق في آيات القرآن الكريم يلاحظ أنَّ الدور الذي يقوم به الصراع الفكري قد حافظ على الدعوة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، فالأفكار تُعد من أعظم الثروات التي تتركها الأمم، بل هي من أفضل الهبات التي تتسلمها الأجيال جيلًا من بعد جيل، وبخاصة إذا كانت أمة في حجم وقدر أمة الإسلام في عراقتها وفكرها وقيمها.

والمتأمل في قضية الصراع، يجد أنَّ بعض الناس يقدمون الصراع الاقتصادي أو السياسي أو العسكري على الصراع الفكري، على اعتبار أنَّه الأخطر والأشد بالنسبة لأشكال الصراع. لكن الحقيقة – من وجهة نظري – أنَّ الصراع الفكري، يعد أخطر ألوان الصراع على الإطلاق. فالظروف السياسية أو الاقتصادية.. قد تتغير باستمرار، بخلاف التغير الفكري، الذي لا يمكن له التغير إلاّ ببطء شديد، ورغم ذلك فإنَّ تأثيره يمتد لفترات زمنية طويلة.

" فمن أهم وأخطر أنواع هذا الغزو الفكري والثقافي: حركة الاستشراق وهذه الحركة قامت بأبشع حملات على الإسلام بدلًا من الحملات العسكرية، وهي حملات

(١) سورة الأنبياء، الآية، (٢٥).

فكرية وعلمية – كما يدعون– وتعمل في أوساط العلماء والمثقفين والمفكرين، فهي أشد فتكًا من الحروب والقتال"(١).

لذلك، فإنَّ الأثر الذي يحدثه التغير الاقتصادي أو السياسي أو العسكري أثر سطحي، إذ إنَّ الأمور بعد ذلك تسير ردحًا من الزمن وكأنَّ شيئًا لم يكن. هذا بخلاف التغير الفكري، الذي إذا حدث تغيّرت كل الأوضاع المتّصلة به، من سياسة واقتصاد، وغير ذلك.

ولكم عانى الأنبياء والمفكرون المصلحون من تحجّر أفكار ومعتقدات الناس. ذلك أنَّ الإنسان إذا اعتاد فعل أمر لم يتحول عنه إلا بصعوبة شديدة، لكن إذا حدث التغير رسخ في النفس، وازدادت قوة سلطانه مع مرور الأيام. لهذا كان التغير الفكري عميق الجذور، متشعب الأوصال، صعب العلاج، بطيء التفاعل.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى بعض أسباب هذا التحجر المانع من قبول الحق على أنَّه الأخذ بالعقائد الراسخة والباطلة عمَّن يُحْسَن الظن بهم من الآباء والأجداد، وغيرهم، ممَّن ليس لهم مستند على ما هم عليه من المخالفة، إذ إنَّ تغيير هذه العقائد وتلك الأفكار أمر بالغ الصعوبة، ويؤكد ذلك من الآيات، ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾(٢).
- قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾(٣).
- قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾(٤). وغير ذلك من الآيات الكثير.

(١) شاكر عالم شوق، الاستشراق أخطر تحد للإسلام، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، شيتا غونغ، المجلد الثالث، ديسمبر، ٢٠٠٦، ص٦٣.

(٢) سورة المائدة، الآية، (١٠٤).

(٣) سورة يونس، الآية، (٧٨).

(٤) سورة الزخرف، الآية، (٢٣).

لذلك اتخذ خصوم الإسلام مجموعة من الخطط بعيدة المدى مضمونة التأثير لتحقيق الفصل الفكري والثقافي للأمة، كخطوة أساسية لإبعاد المسلمين عن المفاهيم الصحيحة لإسلامهم. وذلك على النحو الآتي:

- إثارة الشبهات حول القرآن والسنة.
- دس الأفكار الفاسدة وإغراء بعض ضعاف النفوس باعتناقها على أنَّها من تعاليم الإسلام ومفاهيمه، ثم محاولة الدفاع عنها.
- بث النظريات والأفكار المخالفة لأسس الإسلام.
- مقابلة بعض أحكام وأصول الدين وأركانه وتشريعاته بالاستهزاء والازدراء.
- احتقار علماء الدين الإسلامي وازدراؤهم.
- اختلاق الأكاذيب والافتراءات على الإسلام وتاريخ المسلمين وتشويه غايات الفتح الإسلامي.
- تفريغ الإسلام من مضامينه(١).

الناظر المدقق في القرآن الكريم يجد أنَّ هذه الخطط – المذكورة آنفًا – التي يقوم خصوم الإسلام بنسجها ليست بجديدة، إذ إنَّها مذكورة في القرآن الكريم خطة خطة، غير أنَّها قد تأتي متعلقة بإبليس وأعوانه ابتداءً، أو قد تأتي في سياق الحديث عمَّا حاكه الأقدمون من خصوم الإسلام، وها هم الخصوم الجدد يسيرون على خطى أسلافهم وساداتهم، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾(٣). " وهذا يدل على أنَّهم إنَّما اتفقوا؛ لأنَّ قلوب بعضهم تشبه قلوب بعض في الكفر والطغيان، فتشابهت مقالاتهم للرسل لأجل تشابه قلوبهم"(٤). كل ذلك رغم أنَّهم لم يجتمعوا في زمن واحد، حتى يتواصوا

(١) انظر: د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي ١٨ ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٥٠٧ – ٥٠٩، د. شوقي إبراهيم علي عبد الله، في الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، دار الطباعة المحمدية، ٣ درب الأتراك بالأزهر، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٤٤-٣٤٨.

(٢) سورة الذاريات، جزء من الآية، (٥٢،٥٣).

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية، (١١٨).

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، ٤٤٣/٧.

بالرفض التام لدعوة التوحيد فيما بينهم، ولعل من الفوائد التي يمكن أنَّ تؤخذ من هذا التواصي العجيب، هي:

- التأكيد على التشابه التام في طريقة رفض دعوة التوحيد بين أعداء الدين في كل زمان ومكان، وإنَّ كان هناك اختلاف في بعض المسميات بين القديم والحديث، إلا أنَّ النتيجة والمآل واحد.
- دوام استمرارية الصراع بين الحق والباطل إلى أنَّ يرث الله الأرض ومن عليهما.
- تذكير الأمة الإسلامية بالمؤامرات التي تحاك من ورائها، بغية أخذ الحيطة والحذر من كيد الأعداء.
- الدعوة الى التحلي بالإيمان الكامل والصبر والمصابرة على كيد الكائدين، إذ إنَّ عاقبة الصراع لأهل الحق على أهل الباطل.

مما سبق يتضح لنا، أنَّ هناك شبه اتفاق بين الأمم السالفة واللاحقة من الكفرة على رفض دعوة التوحيد، ويؤكد ذلك ما ذُكر آنفاً. ولعل من الآيات المشابهة لخطط الأعداء الحاليين والتي جاءت في سياق الحديث عمَّا يُحاك تجاه الإسلام وأهله من قبل الخصوم الأقدمين، أو التي جاءت متعلقة بإبليس وأعوانه، هي:

أولًا: المتعلقة بإبليس وأعوانه.

- قوله تعالى: ﴿**..قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**﴾(١).
- قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ..**﴾(٢).

ثانيًا: المتعلقة بالخصوم الأقدمين.

- قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾(٣).

(١) سورة طه، جزء من الآية، (١٢٠).
(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية، (٦٤).
(٣) سورة فصلت، الآية، (٢٦).

- قوله تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ، قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾(١).
- قوله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَـذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ..**﴾(٢).
- قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾(٣). وغير ذلك من الآيات الكثير.

هذا، ولَمَّا تأكد لأعداء الإسلام أنَّ الغزو العسكري لا قيمة له في تغيير إيمان وواقع الأمة، لجئوا إلى الغزو الفكري والثقافي للعمل على إبعاد الناس عن دينهم وقرآنهم. ولعل من بين خطط الغزو بغية تفريغ الاسلام من مضامينه الصحيحة بإدخال مفاهيم بعيدة كل البعد عن الإسلام والصاقها به.

من ذلك، مفهوم القومية(٤) والذي جاء بديلًا جديدًا عن رابطة الأخوة الإسلامية، حيث انطلق أعداء الإسلام إلى بعث الحياة في هذه الفكرة من جديد بعد أنْ أماتها الإسلام منذ قرون عديدة. وذلك من خلال تذكير الناس بماضيهم الذي كانوا عليه قبل الإسلام، وإحياء النعرات الجاهلية البائدة بمظاهرها وعرضها في صورة مغرية تُوحي بأصالتها وعراقتها، نافخين فيها روح التقديس والتعظيم.

وقد ترتب على ذلك، أنْ انتسب المسلمون لآبائهم وعائلاتهم ومناصبهم، بدلًا من أنْ ينتسبوا إلى دينهم وقرآنهم، ونسوا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾(٥). وهكذا، بهذه القوميات البالية تفتت وتشرذم المسلمون إلى أمم وفرق وتيارات، وعادت الأمة الإسلامية دولًا شتى، لا تربط كل واحدة منهن بأخواتها من الدول سوى رابطة الانتساب إلى الإسلام، وفَقَدَ المسلمون بذلك أقوى وأمضى سلاح في أيديهم، وهو سلاح

(١) سورة المؤمنون، الآيات، (٨١-٨٣).
(٢) سورة الزخرف، الآية، (٣١).
(٣) سورة سبا، الآية، (٤٣).
(٤) انظر: د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٥١٦.
(٥) سورة الحجرات، جزء من الآية، (١٣).

الإخوة، بعد إيمانهم بالله. وبذلك هان المسلمون على الله، فهانوا في أعين عدوهم. وهو ما جعل كل دولة منهن فريسة سهلة لخصومهم، دون أدنى محاولة انتصار من أخواتها من الدول.

ثانيًا: الصراع العسكري.

لَمَّا استشعر كفار مكة خطر هذا الدين الجديد على مصالحهم وامتيازاتهم، لجئوا إلى استخدام القوة والقهر، والتنكيل والتكميم للأفواه من جهة، واعتمدوا أساليب التضليل والتعتيم الاعلامي من جهة أخرى. لمنع انتشار دين الإسلام ووصول رسالته إلى آذان الناس وقلوبهم. لذلك، فإنَّ القرآن الكريم أخذ ينبه على مكر هؤلاء؛ كي يأخذ المسلمون حذرهم مؤكدًا على ضعفهم، فإنَّ الذي يمكر خفية، لا يملك قدرة على المواجهة، فيُبيت من وراء خصمه، ولو كانت عنده قدرة على المواجهة ما كان ليمكر به، " لذلك لا يمارس المكر إلا الضعيف"(١). يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾(٢).

ومن هذا الصراع العسكري الموجه نحو الإسلام كانت عناية القرآن الكريم بتنمية جانب البطولة والإقدام في الشخصية المسلمة، حيث أقبل على النفوس يُنقيها من كل صفة تؤدي بها إلى الجبن والإحجام، محفزًا ومذكرًا إياها بسوء عاقبة الجبناء؛ حيث إنَّ عاقبة هؤلاء الابتلاء بذي قوة لا يعرف للعهد حرمة، ولا يُقيم للعدل وزنًا، قال تعالى: ﴿**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾(٣).

كما اتخذ القرآن الكريم طريقة لتربية الأجيال المسلمة على الشجاعة، من خلال غرس عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر. قال الله ردًا على من تنصّل من أسباب الحرب، وعرَّض بأنّ الخروج للقتال يوم أحُد كان خطأ وغرورًا، ولذلك ظنّوا بأنّ النبي ﷺ ليس برسول؛ إذ لو كان رسولًا لكان مؤيّدًا بالنصر(٤). قال تعالى: ﴿**..وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ**

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٤٦٨٠/٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية، (٣٠).

(٣) سورة التوبة، الآية، (٨).

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣٥/٤.

شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا..﴾[1].

وقال أيضًا: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا..**﴾[2]. وإنَّما كان هذا الظنّ من المنافقين غيرَ حقّ؛ لأنَّه تخليط في معرفة الصفات الإلهية وصفات النبوة، وما يجوز وما يستحيل في حقهما، وهذا شأن النفاق والمنافقين[3]. في صراعهم العسكري مع الإسلام يريدون أن يبثوا الريب والشكوك في قلوب المؤمنين، غير أنَّ الله وفق رسوله ﷺ فأجاب بما فيه إبطال لقولهم.

لذلك اعتنى القرآن الكريم عناية كبيرة بوسائل الدفاع؛ لأنَّ الأمة مطالبة بأخذ الحيطة والحذر في صراعها مع الباطل، حيث الإقدام والذب عن حياض الدين والذي لا يعدُّ من قبيل الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وإنَّما هو واجب شرعي، قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ..**﴾[4].

وهو أيضًا يواسي ويشد من أزر مَنْ هو قادر على نصرتهم من الذين أخرجوا من ديارهم بغير بحق، فالاعتداء عليهم بالإخراج من بيوتهم لأجل إيمانهم ظلم بَواح واستخدام للقوة في تنفيذ ذلك الظلم، قال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ..**﴾[5].

وهذا فتح الله المجيد على يد القائد الفاتح، عماد الدين زنكي، في صراع الإسلام العسكري مع خصومه الصليبيين حيث كانت العقبى لأهل الإسلام[6]. غير أنَّ الواقع اليوم قد تغير كثيرًا بالنسبة لأمة الإسلام، فهي تمر بفترة من أحلك فترات تاريخها؛ وذلك لأنَّها انحدرت من القوة إلى الضعف، ومن القيادة والريادة إلى التبعية والهوان. وإنَّ المتأمل في حالها اليوم يدرك مظاهر ضعف أبنائها وبعدهم عن حقيقة الدين، مما جعل الأعداء ينتهزون الفرصة بشن حرب على أوسع نطاق، يستخدمون فيها شتى

---

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية، (١٥٤).

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية، (١٦٨).

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣٥/٤.

(٤) سورة الأنفال، جزء من الآية، (٦٠).

(٥) سورة الحج، الآية، (٣٩)، جزء من الآية، (٤٠).

(٦) انظر: د. راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٤٩٨، وما بعدها.

الوسائل، في أكثر من بقعة من بقاع الأمة الإسلامية. هناك في فلسطين، والعراق، وأفغانستان، والسودان، ولبنان، وسوريا، وليبيا، وليست مصر وغيرها من البلاد الإسلامية ببعيد عن هذا الخطر.

والخلاصة، أنَّه حينما يقلب الإنسان نظره في تاريخ الأمة وقت بلوغها ذروة المجد والعزة والسيادة، يدرك أنَّها إنَّما بلغت هذه الذروة وتلك السيادة بتمسكها بدينها وقيمها وطاعتها لربها، وبما ملكت من قوة فكرية وثقافية، واقتصادية وعسكرية..، فبها سلمت البلاد من خطر المتربصين الحاقدين، وبها كانت الأُمَّة قوية الشوكة، نافذة الإرادة، مرهوبة الجناب. ولا شكَّ أنَّ الدفاع عن الحقوق والمصالح العامة والخاصة يُعدُّ من أفضل الأعمال، التي يتنافس فيها حماة الوطن وأنصار الدين والشريعة.

المعلم الخامس: المحاسبة تُلزم الاستقامة.

من أمن العقوبة أساء الأدب، عبارة تقال لكل من تجاوز حدوده بالتصرف مع غيره، أو التعدي على حقوق غيره من غير حق، دون خوف شيء يردعه من عقاب أو توبيخ.

ولعل من أهم المعالم المستخلصة، من قصّة موسى ﷺ في صراع الحقّ مع الباطل، أنَّ السامري لَمَّا أمِنَ العقاب في فتنته التي نشرها بين بني إسرائيل، اقترف معصيته، بمسه ما لم يكن له أن يمسه، حين مسّ أثر الرسول جبريل ﷺ أثناء غرق فرعون، فكان جزاؤه من جنس عمله، أن يقول: لا مساس، لا يَمسّ الناس ولا يَمَسّونه، فيُعزل تمامًا عن المجتمع، ويهيم على وجهه في الأرض، لا يقرب أحدًا ولا يمسّه. وهذا عقابه في الدنيا. أمَّا في الآخرة فعقابه أعظم. قال الله تعالى:﴿..**فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ...**﴾[1].

والسر في عقوبته على جنايته بما ذكر، أنَّ النتيجة المأمولة من صنيعه جاءت على عكس مراده، فمقصده منها اجتماع الناس عليه وتعزيزه وتوقيره، فكان ما فعله سببًا لبعد الناس عنه وتحقيره، فعوقب بذلك ليكون الجزاء من جنس العمل، حيث نَبَذّ فنُبِذَ، فإن ذلك التباعد عنه أشبه شيء بالنبذ[2]. وكذلك جزاء من أمن العقاب فأساء

(١) سورة طه، جزء من الآية، (٩٧).

(٢) انظر: محمود الألوسي أبو الفضل(ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت. جـ١٦، ص ٢٥٦.

الأدب بكفره بربّه، واتّخاذ آلهة من دونه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾(١). وعليه، فإنّه بالمحاسبة تدوم الاستقامة، وبالعقاب يدوم العدل والأمن.

المعلم السادس: الاستجابة لأهواء النفس لا لأمر الله ﷻ.

لقد حوت قصّة موسى عليه السلام الكثير من معالم الصراع، ولعلّ أحد أهمّ هذه المعالم ما يقع فيه المندفعون بحماسة لنصرة الإسلام، حين يغيب عنهم، أنَّ نصرة الدين تكون وفق أصول منهج الإسلام، لا وفق العواطف والأهواء، وما تراه الأنفس صالحًا.

ففي كلّ مجتمع من المجتمعات شياطين إنس، يعملون على تضليل الجماهير، وصدّهم عن عبادة الله ﷻ، وكذلك كان السامري الذي استغل غياب موسى عليه السلام حينما اختار سبعين رجلًا من قومه للميقات المعلوم. يقول تعالى: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا..**﴾(٢). تاركًا قومه في ولاية أخيه هارون عليه السلام فلمَّا بلغوا جبل الطور وصعد موسي عليه السلام. صنع السامري لهم عجلًا جسدًا له خوار كخوار الثور. وبذلك انحرف بنو إسرائيل بهذه الضلالة في دين الله ﷻ رغم بيان موسى عليه السلام لأصول دعوته المبنية على توحيد الله تعالى، غير أنَّ أهل الباطل من بني إسرائيل كان لديهم استعداد للانحراف عن منهج الله ﷻ وذلك ما شوهد في جنوحهم للشرك بالله وهم خارجون للتّو من أحد أعظم مواقف النصر في التاريخ.

فالاستجابة تكون لأمر الله ﷻ، لا لأمر النفس، أو دعاة الضلالة من المرتزقة، فمهما استحسن الناس أو اسْتَحْسَنَت النفس الأمر، فإنَّه لا يلزم المسلم إلاّ الاتّباع، فهو السبيل للنّجاة ونيل رضى الله ﷻ.

وعليه، فالحياة النافعة إنَّما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله ﷺ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له.. والاستجابة أصلها بالقلب، فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب(٣).

---

(١) سورة الأعراف، الآية، (١٥٢).

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية، (١٥٥).

(٣) انظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن الدمشقي الحنبلي ابن القيم(ت٧٥١هـ)، التفسير القيم للإمام ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٢٨٨- ٢٩١.

المعلم السابع: الجحود والنسيان صفة الظالمين.

كثيرة تلك النعم التي ينعم بها الله تعالى على عباده، يقول تعالى: ﴿...**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[١] وزيادتها يكون بالشكر، يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾[٢]. والشكر: معناه ألاّ يتقوَّى الإنسان بنعمة الله على معاصيه، كما أنَّ حقيقته: هي الاعتراف بالنِّعمة للمُنعم، وعدم صرفها في غير طاعته. لذا فالواجب على المسلمين أن يقابلوا هذه النعم بشكر الله تعالى لا بالكفر والجحود والنسيان. ولا يكونوا كالذين اتصفوا بالجحود والنكران في كل عصر ومصر، رغم نعم الله تعالى المتوالية عليهم. والقرآن العظيم يقص علينا قصص الشكر لله على نعمه والكفر بها؛ سواء على مستوى الأفراد أو الأمم.

ولعل من أمثلة جحود النعمة في القرآن:

- قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ...**﴾[٣]. والإعراض هنا كان: " عن أمره واتباع رسله بعد أنْ كانوا مسلمين"[٤]. فأرسل الله عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرَّب السد، وبدَّلهم بجنتيهم المثمرتين جنتين ذواتَيْ أكل خمط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأثْل وهو شجر شبيه بالطَّرْفاء لا ثمر له، وقليل من شجر النَّبْق كثير الشوك. ذلك التبديل بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نعَمَ الله[٥].
- قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[٦]. وهذا المثلُ ضربه الله تعالى لكل من جحد وكفر بنعمة

(١) سورة إبراهيم، جزء من الآية، (٣٤).
(٢) سورة إبراهيم، الآية، (٧).
(٣) سورة سبأ، الآيتان، (١٥،١٦).
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٥/١٤.
(٥) مجموعة من العلماء، عدد من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، إشراف الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، د.ت، ص٤٣٠.
(٦) سورة الاعراف، الآية، (١٧٥).

الله عليه واستكبر بها جهلًا. ولمن ظن أنَّ الإيمان قد يسلبه العز والجاه في الدنيا. أو أنَّه قد يحول بينه وبين التمتع بملاذ الحياة الدنيا.

وهنا، يشبه الله تعالى من آتاه العلم فترك العمل به واتبع هواه بالكلب. فالكلب يلهث لقلة صبره على الماء، وهذا يلهث لقلة صبره على الدنيا. حيث لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر؛ لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة(١).

المعلم الثامن: استيعاب المواقف وحسن الظن صفة المؤمنين.

قدّم الأخوان موسى وهارون عليهما السلام أروع نموذج لاستيعاب كل منها الآخر؛ في أصول الفكر والوفاق بينهما، وذلك حينما خلف هارون موسى عليهما السلام في قومه. وحدث ما حدث من فتنة السامري. ولعل مرد هذا الاستيعاب وحسن الظن من كليهما يرجع في الأصل إلى التربية التي تربيا عليها. فقد كانت سببًا لتلاشي حدوث فتنة كبرى، فأنعم بها من علاقة بين أخوين في نفس طريق الدعوة للتوحيد.

ومشهد ذلك، أنَّ موسى عليه السلام حينما جاء من الميقات المعلوم، ورأى الفتنة التي وقع فيها قومه من بعده، ألقى الألواح التي كان يحملها على الأرض. وأخذ يوجه اللوم والعتاب لأخيه هارون عليه السلام فهو من تولّى المسؤولية في غيابه. سائلًا إياه عن فتنة السامري في غيبته، قال تعالى: ﴿**...يا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**﴾(٢). فكان ردّ هارون عليه السلام عليه، بقوله تعالى: ﴿**..يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾(٣).

وهنا، يستوعب هارون عليه السلام غضب أخيه موسى عليه السلام فيعمل على تهدئته مذكرًا إياه برباط الأخوّة بينهما، مستعملًا أدقّ الألفاظ، واضعًا في اعتباره مراقبة الأعداء لمشهد لا يصح أن يصدر منهما، وهو مشهد الاقتتال، وبخاصة أنَّهما أصحاب دعوة واحدة، قائلًا له، قوله تعالى: ﴿**...ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(٤).

والأصل الذي يلزم المسلم في التعامل مع المسلمين، هو الظن المندوب إليه؛ وهو حسن الظن بهم، إذ إنَّه مندوب إليه، مثاب عليه، فإنْ قيل: إذا كان سوء الظن

---

(١) انظر: ابن القيم، التفسير القيم، ص٢٨١، ٢٨٢.

(٢) سورة طه، جزء من الآية، (٩٢) ، والآية، (٩٣).

(٣) سورة طه، جزء من الآية،(٩٤).

(٤) سورة الاعراف، جزء من الآية، (١٥٠).

محظورًا، فواجب أنْ يكون حسن الظن واجبًا[1]. وعليه، فإنَّ حياة البشر مليئة بالأقوال والأفعال والمواقف التي يُفْترض أنَّها انعكاس لما يدور في أعماقهم، فواجب علينا إحسان الظن بهم، وعدم تأويل أقوالهم، أو أفعالهم، بنقيض ما يقصدونه؛ حتى وإنْ بدرت منهم مواقف تستدعي الدهشة وسوء الظن. وعلى المسلم مراجعة أخيه في موقفه بما وقع في صدره من ناحيته، كما حدث بين موسى وهارون عليهما السلام.

(١) انظر: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٠٥هـ، جـ٥، ص ٢٨٩.

المبحث الثالث

غايات الصراع في القرآن الكريم

إنَّ إدارة الهزيمة وتخطيها بالبحث عن ممكنات تجاوزها، في ظل الظروف التي شكلتها واجب حتمي على كل متصارع أو مدافع، فمن يعجز عن إدارة هزيمته لا شك أنَّه محكوم عليه بالفناء والزوال. ولا بد في هذه الأوقات الفارقة من خطاب تعبوي، كأحد الخيارات المتاحة، لما له من ذات الوظيفة في ضوء الواقع الذي شكلته ظروف الهزيمة؛ لمحاولة الخروج من خطاب المنهزم إلى خطاب المنتصر، بديمومة الاشتباك وترك التراخي. ففي كل لحظة يحتاج الجميع إلى الطعنة البكر، التي لا يمكن تأخيرها، بل هي استحقاق دائم ومستمر عبر مجريات الصراع وتحولاته.

نعم، إنَّه الخيار الوحيد أمام الباطل المصارع تجاه الحق المدافع والمناضل، وهذا ما يفسر لنا السر في تخوف أهل الضلال قديمًا وحديثًا من أهل الهدى، وتواصيهم فيما بينهم جيلًا من بعد جيل على مصارعته بكل الوسائل والامكانات المتاحة؛ لعلمهم يقينًا مدى تأثير حجته وقوة برهانه. ففي شأن القدامى ممن عاصروا نزول القرآن الكريم، يقول الله تعالى فيهم :﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾(١). والمعنى: " فترى بعضهم ينهى بعضًا عن سماعه، ويأمرهم باللغو فيه، كالصياح والتصفيق المانع من السماع لكراهتهم للحق، ومحاولتهم أنْ يغلبوا الحق بالباطل"(٢).

وفي العصر الحاضر، لم ولن تتوقف منازعة أهل الباطل للقرآن وأهله رغم ادعائهم الالتزام بحرية الفكر والرأي والاعتقاد. يقول المبشر تاكلي عن القرآن: " يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تمامًا، يجب أنْ نبين للمسلمين، أنَّ الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأنَّ الجديد فيه ليس صحيحًا"(٣).

لذا، فإنَّ للصراع في القُرْآن الكريم غايات عظمى. لعل من أهمها:

- إثبات الوحي والرسالة.

---

(١) سورة فصلت، الآية، (٢٦).

(٢) الشنقيطي، أضواء البيان، ٥/ ٣٤١.

(٣) جلال العالم، قادة الغرب يقولون، دمروا الإسلام أبيدو أهله، ص٥٠.

- إثبات أنَّ الدين واحد وأنَّه يخرج من مشكاة واحدة.
- التأكيد على العداوة الخالدة بين آدمعليه السلام وإبليس.
- بيان نِعم الله على أنبيائه وأصفيائه ونقمته على أعدائه.
- العُقْبى في الصراع لأهل الحق.
- ضرورة التعايش السلمي مع الآخر جنسًا وعقيدة.

الغاية الأولى: إثبات الوحي والرسالة.

إنَّ ما جاء به القرآن الكريم لم يكن من عند النبي محمد ﷺ؛ وإنّما هو وحي أوحاه اللّه تعالى إليه هداية للبشرية. وإنَّ الهدف الأساسي من ذكر مجريات الصراع في القرآن الكريم، بين الأنبياء وأقوامهم بكل دقّة وتفصيل، مع ملاحظة اختلاف ظروف البيئة الثقافية والاجتماعية. كل ذلك يكشف عن حقيقة يقينية. وهي: أنَّ تلقّي هذه الأنباء والأخبار إنَّما تأتي من مصدر إلهي مطّلع على الأسرار وما خفي من بواطن الأمور، وهو اللّه ﷻ. وقد نصّ القرآن الكريم في قصصه على أنّ من أهداف ذكر أحداث الصراع هو إثبات الوحي والرسالة، ويؤكد ذلك من الآيات، ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ..**﴾(١).
- قوله تعالى:﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا..**﴾(٢).
- قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ..**﴾(٣).
- قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ، وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾(٤).

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية، (٤٤).
(٢) سورة هود، جزء من الآية، (٤٩).
(٣) سورة يوسف، جزء من الآية، (٣).
(٤) سورة القصص، الآية، (٤٤-٤٦).

- قوله تعالى: ﴿**إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾[١]. وغير ذلك من الآيات الكثير.

فكلّ هذه الآيات وما شاكلها تؤكد فكرة الوحي الإلهي والرسالات المرسلة. وعليه، فإنَّ ما ذكره النبي ﷺ ممَّا أُوحي إليه من ربه في آيات الصراع الحادث بين أنبياء الله تعالى وأقوامهم، رغم أنَّه ﷺ لم يجالس أحبار اليهود ورهبان النصارى، وقد أتى بذكر ما سبق من أحوال الأمم، بكل دقة وتفصيل لم يسبق لها مثيل، كل ذلك يُعد دليل صدق على أنَّ ما جاء به إنَّما هو وحي الله تعالى إليه.

وعليه، فمن أراد تحرير الدلالة على إثبات الوحى، فإنَّه يرجع إلى: ما تقدم من الآيات بشأن الوحي. وإلى دلائل إعجاز القرآن، وإلى بعض أنواع مقاصده، مع العلم القطعي بأنَّ محمدًا ﷺ كان أميًا فمن راجع ذلك كله وتأمّله، يجد عقله مضطرًا إلى الجزم بأنَّ هذا فوق استعداد بشر أمي، أو متعلم، وأنَّه لا يعقل إلاّ أنْ يكون وحيًا من الله تعالى اختصه به[٢].

الغاية الثانية: إثبات أنَّ الدين واحد وأنَّه يخرج من مشكاة واحدة.

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للإنسانية جمعاء، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...**﴾[٣]. والدين الذي وصى به تعالى رسله في قوله: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ**﴾ على خصوص الأصول، التي هي التوحيد، دون الفروع العملية، لأنَّه تعالى قال في الفروع العملية: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[٤]. " فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى اتِّفَاقِهِمْ فِي الْأُصُولِ، وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْفُرُوعِ"[٥]. وقد ربط الله تعالى هداية البشرية بهذا الدين، وحكم على من ابتغى غيره من الأديان بالبوار والخسران، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٦].

---

(١) سورة ص، الآية، (٧٠).

(٢) انظر: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني(ت١٣٥٤هـ)، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م، ص٢٥٢.

(٣) سورة الشورى، جزء من الآية، (١٣).

(٤) سورة المائدة، جزء من الآية، (٤٨).

(٥) الشنقيطي، أضواء البيان، ١/ ٣٧٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية، (٨٥).

لذلك، وصف الله تعالى المتمسكين بدينه الحق، سواء كانوا أنبياء، أو أتباع أنبياء بالمسلمين. قال الله تعالى في شأن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام أنَّهما كانا من المسلمين، كما وصَّيا أبناءهم بالموت على دين الإسلام، قال تعالى: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾(١). وقال ﷻ في الحواريين أتباع عيسى عليه السلام: ﴿**...قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾(٢). وغير ذلك من الآيات.

وبهذا، يُعلم أنَّ الإسلام هو الدين الحق، ومعناه الاستسلام لأمر الله تعالى وعبادته وحده، وهو دين الأنبياء والمرسلين جميعًا، وقد اتفقت كلمتهم على الدعوة إلى عبادة الله وحده، غير أنَّ كل نبي قد جاء بشريعة تختلف عن شريعة غيره من الأنبياء، فقد يباح لقوم ما يَحْرُمُ على آخرين، والعكس، ويباح في زمان ما يَحْرُمُ في آخر؛ لما يعلمه الله تعالى من مصالح العباد.

وعليه، فالإسلام الذي جاء به النبي ﷺ إنَّما هو امتداد لدين الله الذي شرعه للبشر من قديم الزمان، وهو ناسخ لما قبله من الشرائع، وليس مَعنى هذا أنَّ الأدْيانَ السَّابِقةَ كانت ناقصةً، وإنَّما المُرادُ أنَّه وإنْ كانت كُلُّ شَريعة كاملةً بالنِّسبة إلى عَصرها، فإنَّ الشَّريعةَ المُحَمَّديَّةَ هي الشَّريعةُ الأكمَلُ والأتَمُّ، وكَونُه ﷺ خاتَمَ النَّبيِّينَ، أي: لا نَبيَّ بعْدَه. فلا يُقبل من أحد ديناً غيره بعد بعثته.

فعن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: " إنَّ مَثَلِي ومَثَلَ الأنْبياءِ من قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلاّ مَوْضِعَ لَبِنَة من زاويَة، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به، ويَعْجَبُونَ له، ويقولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ؟ قالَ: فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتِمُ النَّبيِّينَ "(٣).

الغاية الثالثة: التأكيد على العداوة الخالدة بين آدم عليه السلام وإبليس.

يخبر الله تعالى عن عداوة الشيطان للإنسان في القرآن الكريم، بقوله: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾(٤) وذلك، لأنَّه: ﴿**إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ**

(١) سورة البقرة، الآية، (١٣٢).
(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية، (٥٢).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (المناقب)، رقم، ٣٥٣٥، جـ٤، ص ١٨٦.
(٤) سورة فاطر، جزء من الآية، (٦).

أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1]. فهذا العدو اللدود، عداوته قديمة قِدَم الحياة، وقد ذكر الله تعالى عداوته بأشكال عدة. ذلك، وأنَّ إبليس ظن أنَّ ما حدث له من الإغواء كان بسبب آدم ﷺ وهو ما كانت نتيجته الإبعاد والطرد من رحمة الله تعالى.

لذلك، أعلنها حربًا صريحة عليه وعلى ذريته من بعده، على مختلف الأصعدة، ومن جميع الجهات، وبشتى الوسائل، مصرًا على ملاحقتهم، ذكرًا كان أو أنثى، في كل لحظة من لحظات حياتهم، قال تعالى:﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[2].

فما أعظم عداوة إبليس للإنسان وما أشد ضراوتها، إنَّه سيقعد للبشرية على صراط الله المستقيم، فلا يمّكنهم من ولوجه، وسيأتيهم من كل جهة ليصرفهم عن هداه، وهو إنما يأتيهم من ناحية نقاط الضعف فيهم، ومداخل الشهوات لديهم. فالحرب بين الشيطان والإنسان ضارية مستمرة، إنَّها معركة الهوى باتباع الهدى، ومعركة الهدى بالبعد عن الهوى، ولا بدَّ أنْ يخوضها الإنسان مع الشيطان، الذي استعد لها بخيله ورجله، قال تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[3].

ولما كان الأمر كذلك، أخذ الله تعالى ينبه عباده ليأخذوا حذرهم من كيده وكيد أتباعه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[4].

فعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهﷺ يَقُولُ:" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابنِ آدَمَ بِطرُقِه فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ. وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ: كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ،

(١) سورة فاطر، جزء من الآية، (٦).
(٢) سورة الأعراف، الآيتان، (١٦،١٧).
(٣) سورة الإسراء، الآية، (٦٤).
(٤) سورة البقرة، الآية، (١٦٨،١٦٩)

وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، كَانَ حَقًّا عَلَى الله ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ"(١).

فعلى العبد المسلم حين يستحضر المعركة الخالدة مع عدوه وعدو آبائه وأبنائه، أنْ يتحفز لها بكامل قواه، مستيقظًا لمداخل عدوه إلى نفسه، متوجسًا من كل هاجسة، ليعرض كل ما يهم به على ميزان شرع الله ﷻ والله تعالى قد ضمن لعبده المؤمن بأنْ لا سلطان للشيطان عليه، فقال: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾(٢).

الغاية الرابعة: بيان نعم الله على أنبيائه وأصفيائه ونقمته على أعدائه.

خص الله تعالى عباده بنعم كثيرة، لا تُعد ولا تحصى، فقال: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾(٣). غير أنَّه سبحانه قد اختص بعضًا من عباده بأجَلِّ نعمة وأفضلها على الإطلاق، وهي نعمة الإسلام(٤). ويدل على ذلك من الآيات، ما يأتي:

- قال الله تعالى في نبيه عيسى ﷺ: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾(٥).
- وقال الله تعالى في نبيه إبراهيم ﷺ:﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾(٦).
- وقال الله تعالى في ذرية إبراهيم ﷺ: ﴿**..وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا**﴾(٧).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، في مسنده، وقال، إسناده قوي، باب (حديث سبرة بن أبي فاكه ﷺ)، رقم، ١٦٠٠٠، جـ٣، ص ٤٨٣، و الإمام النسائي في صحيحه، وقال، إسناده حسن، كتاب (الجهاد)، باب (ما لمن أسلم وهاجر وجاهد)، رقم، ٣١٣٤، جـ٦، ص٢١، والإمام ابن حبان في صحيحه، وقال، إسناده قوي، باب (فضل الجهاد)، رقم، ٤٥٩٣، جـ١٠، ص ٤٥٩٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية، (٦٥).

(٣) سورة النحل، الآية، (١٨).

(٤) عَدَ يوسف ﷺ نعم الله ﷻ عليه، ثم دعا أنْ يتم عليه النعم في نهاية عمره بأنْ يتوفاه على الإسلام، بقوله تعالى:﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾. انظر: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، جـ٣، ص٢٩٠.

(٥) سورة مريم، الآية، (٣٠).

(٦) سورة مريم، الآية، (٤١).

(٧) سورة مريم، جزء من الآية، (٤٩).

- وقال الله تعالى في داود وسليمان عليهما السلام: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]. وغير ذلك من الآيات.

والمتأمل في جملة النعم المذكورة للأنبياء سابقًا يجد أنَّها تختص بنعمة النبوة. غير أنَّه لمَّا ذكر منته على نبيه داوود وسليمان عليهما السلام ذكر العلم النافع، ولم يتعرض لذكر النعم الدنيوية العاجلة، منوهًا بشكرهما على هذه المنّة الموجبة للتفضيل خاصة. فجعل موجب التفضيل هو العلم، ولم ينوه بشيء من ملك الدنيا.

وفي الآية دليلٌ على شرف العلم.. وأنَّه من أجلّ النعم، وأنَّ من أوتيه فقد أُوتي فضلاً على كثير من العباد، وما سماهم رسول الله ﷺ ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم في الشرف والمنزلة، وأنَّه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله تعالى على ما أوتوه فيها[2].

وواضح مما سبق، أنَّ أفضل النعم على الحقيقة، هي النعم الدينية المحضة، كنعمة الإسلام والنبوة والرسالة... وتلك هي النعم حقًا، وحري بالمسلم أنْ يطلب من الله أنْ يمنَّ عليه بأمثال هذه النعم، وأنْ يحمد الله على ما وفقه له منها، وأنْ يعلم أنَّ التفضيل والتفاضل مبني عليها.

الغاية الخامسة: العُقْبى في الصراع لأهل الحق.

قصَّ علينا القرآن الكريم كثيرًا من القصص التي تؤكد أنَّ العاقبة في نهاية الصراع لأهل الحق، وأنَّ الباطل مهما تعاظم وتطاول، وبغى وطغى؛ فإنَّه لا محالة زائل. ولعل من أمثلة الصراع المنتهي عقباه لأهل الحق:

- **صراع موسى عليه السلام مع فرعون.**

من المشاهد الأكثر صراعًا في القرآن الكريم، مشهد الصراع بين موسى عليه السلام الداعي إلى الله ﷻ وإلى طريقه المستقيم، وبين فرعون الطاغية المتجبر، المدعي الألوهية والربوبية لنفسه من دون الله تعالى، قال الله :﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي..**﴾[3]. المدعي لنفسه التفرد ومعرفة طريق الحق والرشاد،

(١) سورة النمل، الآية، (١٥).

(٢) انظر: ابن عجيبة، البحر المديد، ٥/ ٣١١.

(٣) سورة القصص، جزء من الآية، (٣٨).

قال تعالى: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾(١). الخائف المخوف لقومه من موسى عليه السلام أن يفتنهم عن دينهم، أو أنْ يظهر في الأرض الفساد، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾(٢).

ولئن كان فرعون قد وُفّق في الفوز ببعض الجولات في صراعه مع موسى عليه السلام إلا أنَّ الفوز في الجولة النهائية كان لأهل الإيمان على الكفر، وللعدل على الظلم. وقد عبر القرآن عن هذه النتيجة في أكثر من موضع، وبأساليب متنوعة، مقررًا حقيقة انتصار موسى عليه السلام على فرعون، بقوله تعالى: ﴿**فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ**﴾(٣). وقوله: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾(٤).

- **صراع النبي ﷺ مع مشركي مكة.**

كانت العقبى في الجولة الأولى للصراع الدائر بين الرسول ﷺ وبين مشركي مكة، في غزوة بدر الكبرى، لمعسكر أهل الحق، والتي سُمّيت بـــ" يوم الفرقان"، فرق الله فيه بين الحق والباطل، ونصر فيه المسلمين مع قلتهم على المشركين مع كثرتهم، وكان لها عظيم الأثر على مستوى الأفراد والأمة؛ فعلى مستوى الأفراد، ميزت بين الخبيث والطيب، وبين طالب الحق وطالب الباطل.

وأما على مستوى الأمة، فقد علت وظهرت دولة الحق، وزهقت ومحقت دولة الباطل، ورُفعت راية الإيمان، ونُكِّست راية الكفر، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(٥). ثم توالت السرايا والغزوات حتى جاء النصر الأكبر والفتح المبين، فتح مكة.

(١) سورة غافر، الآية، (٣٩).
(٢) سورة غافر، الآية، (٢٦).
(٣) سورة الأعراف، الآية، (١١٨،١١٩).
(٤) سورة الأعراف، الآية، (١٣٧).
(٥) سورة آل عمران، الآية، (١٢٣).

ودخل رسول الله ﷺ مكة وهو واضع رأسه تواضعًا لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح والنصر، مستشعرًا نعمة الله عليه(١).

- **الصراع في العصر الحديث.**

التاريخ الحديث مليء بالأخبار الدالة على أنَّ العقبى لأهل الحق، وأنَّ الدائرة عائدة على الواقفين في جانب الباطل. ومن الأمثلة التاريخية على انتصار الحق في العصر الحديث:

- **صراع الشعب البوسني المسلم.**

في وسط قارة أوربا المسيحية تقع دولة البوسنة، المدافعة عن حقها في اختيار الدين الذي تدين به، وعن كرامتها وعزها المراد لهما الذل والهوان. فعلى الرغم من كل المؤامرات التي حيكت لإبادة هذا الشعب وشطبه من خارطة الوجود الإسلامي، كانت العقبى له في المعركة الدائرة بينه وبين أهل الباطل.

يقول أحد البوسنويين: نحن تعبنا من الكفاح من أجل الدولة المدنية الحرة دولة التعايش والمواطنة، تعبنا والاحباط يحيط بنا والمعوقات هائلة والكثيرون ضد ذلك الحلم... لكن لا طريق أمامنا غير المحاولة من أجل تحقيق ذلك(٢).

ورغم أنَّ كل أوراق اللعبة العسكرية كانت لصالح خصومهم، إلاّ أنَّهم دافعوا ونافحوا عن كرامتهم واختياراتهم حتى طأطأ الأعداء رؤوسهم وغادروا، وقد نال هذا الشعب نهاية استقلاله، وبنى دولته، ودحر أعداءه.

- **صراع الشعب الفلسطيني المحتل.**

" لقد سقطت أسس نظرية الأمن الإسرائيلي تحت وطأة الانتفاضة، والتي قامت على أساس حرمان الفلسطينيين من السلاح، واستخدام أكبر قدر من القوة ضدهم. ولكن الجهاد يستمر بالإمكانات المتاحة، وإنتاج الأسلحة يتم داخليًا، أو من خلال المصادر الإسرائيلية، كما أنَّ جميع القرى والفصائل تشارك في الجهاد وتمارس العمل المسلح جنبًا إلى جنب "(٣).

---

(١) د. علي محمد الصلابي، السيرة النبوية دروس وعبر، مكتبة الإيمان، المنصورة، جـ١، ص٤٩٦.

(٢) انظر: سامان نوح، دروس وعبر من سنوات الحرب وإعادة السلم في البوسنة والهرسك خلفيات وتداعيات صراع المكونات، بغداد، السليمانية، اذار، ٢٠١٨ م، ص٤٠

(٣) د. عبد الوهاب المسيري، من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية، أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني، ص١٠.

فقد حققت المقاومة الفلسطينية في غزة انتصارات رائعة على العدو الصهيوني، رغم القوة العسكرية الهائلة التي يتمتع بها أعداؤها، هذه الانتصارات لا يمكن لها أنْ تخضع للتحليل العسكري، بل إنَّها تستعصي عليه، فالمقاومة تنافح وتدافع عن حقها، وأعداؤها أصحاب باطل ينافحون ويدافعون عن باطلهم، قال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾(١). وقال أيضًا:﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾(٢).

الغاية السادسة: ضرورة التعايش السلمي مع الآخر جنسًا وعقيدة.

يؤكد القرآن الكريم على كرامة الإنسان، بصرف النظر عن جنسه، أو لونه، أو عرقه، أو لغته، أو دينه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾(٣). مما يدل على أنَّ حفاوة القرآن بتكريم الإنسان ليست مقصورة علي المسلمين فحسب، كما يتصور البعض، لكنها تشمل الجميع، فالخطاب القرآني هنا جاء بصورة عامة. وإنَّ هذا التكريم يكتسب قيمته من حيث المصدر الذي أقرَّ به، وهو الله ﷻ. كما أنَّه يمثل الأساس الذى تقوم عليه العلاقات بين البشرية جمعاء.

فالكرامة الإنسانية تعد سياجًا من الصيانة والحصانة التي يصون بها الإسلام دماء الناس أنْ تُسفك، وأعراضهم أنْ تُنتهك...إلخ . كما أنَّه يدعو إلى حماية الإنسان، باحترام عقله والحفاظ على حقه وماله وذريته، ومن أجل هذه الحماية الإلهية للإنسانية حددت الشريعة لنفسها مقاصد، فـــــ" المقصد العام من التشريع فيها هو حفظُ نظام الأمة واستدامةُ صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه، من موجودات العالم الذي يعيش فيه"(٤). وهذا يعني أنَّ الكرامة الإنسانية المطلقة بذلك المفهوم تمثل أساسًا للمواطنة والتعايش السلمى بين البشر جميعًا.

---

(١) سورة الحج، الآية، (٣٩).

(٢) سورة الحج، الآية، (٣٨).

(٣) سورة الإسراء، الآية، (٧٠).

(٤) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي(ت١٣٩٣هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، تقديم، حاتم بوسمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠١١م، ص١٠٣.

كما أنَّ الإسلام دين ودوله له سياسته العامة التي يعيش الناس جميعًا في ظلالهـــا، وهذه السياسة مبنية على العدالة والمساواة، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**..﴾[1]. ويقول الرسول الكريم في أمر التعايش السلمي بين البشـــر، في الحديث:" عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي عَمَنْ شَهِد خُطْبَةَ النَّبِيﷺ فِي أَوسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، قال: " قَالَ رَسُولُ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، إِلاّ بِالتَّقْوَى، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، قَالَ: فَلاَ أَدْرِي قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لاَ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"[2].

ومن الشواهد التي تدل دلالة واضحة على أنَّ الإسلام هو دين التعايش السلمي بين الشعوب، وهو الذي يحث على حفظ كرامة وحقوق الإنسان، وأنْ يُنْصِفَ أبناءُ الإنسانية المظلومَ على الظالم. ما ورد عن أنس ﷺ" أنَّ رجلًا، من أهل مصر، أتى عمر بن الخطابﷺ فقال: يا أمير المؤمنين! عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذًا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر ﷺ إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمرﷺ: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر ﷺ: اضرب ابن الأكرمين. قال أنسﷺ، فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمرﷺ للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين! إنَّما ابنه الذي ضربني وقد استقدت[3]. منه، فقال

---

(١) سورة الحجرات، جزء من الآية، (١٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب (حديث رجل من أصحاب النبيﷺ)، رقم، ٢٣٥٣٦، جـــ٥، ص٤١١، الهيثمي في مجمع الزوائـــد، كتاب (الحج)، باب(الخطب في الحج)، من رواية أبي نضرة، مع زيادة في اللفظ. قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. رقـــم، ٥٦٢٢، جـــ ٣، ص ٥٨٦.

(٣) القَوَدُ: قَتْل النُفوس بالنفوس، واستَقَدْت منه: انتقمت منه بمثل صنيعه. انظر: ابن سيده، المخصص، كتاب(السلاح)، جـــ٢، ص ٦٩.

عمر ﷺ لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم أعلم ولم يأتني"[١].

وعليه، فالإسلام يدعو إلى التعايش السلمي مع الجميع، بكفالته للحقوق والواجبات، مسلمين وغير مسلمين، فهو يدعو إلى الإيمان بكافة الرسالات السماوية السابقة وبالأنبياء جميعًا، فإذا حدث سلوك يتنافى مع القيم الإسلامية السمحة، التي جاء بها الإسلام، فإنَّ هذا السلوك يُحْسَبُ على صاحبه.

فالإسلام دين سلام، وليس هناك من عائق يحول دون مساره السلمي إلاّ عدوان خصومه عليه أو على منتسبيه، فمن سالمه وسالم متبعيه، فليس الإسلام براغب في الخصومة، وهو حتى في حالة خصومته يستبقى أسباب الود في النفوس باستقامة سلوكه وعدالة معاملته، تطبيقًا للمبدأ القرآني، في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...**﴾[٢].

كما شرع الإسلام للمسلمين التعايش السلمي مع المخالفين لهم في العقيدة، على أساس من الرحمة والبر، وتحرى العدل في معاملاتهم، ورسخ بذلك مجموعة من القواعد للتعايش السلمى مع أهل الملل والديانات الأخرى، تحت راية السلام الاجتماعي في شتى جوانب الحياة.

مما سبق يتضح لنا، أنَّ الإسلام جعل أساس قواعد التعايش بين المسلمين وغيرهم تكمن في اعتقاد المسلم بكرامة الإنسان أيًّا كان دينه، أو جنسه.. واعتقاده بأنَّ اختلاف الناس في الدين أمر واقع حتمًا، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾[٣]. وقال أيضًا:﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا..**﴾[٤]. ولهذا، فإنَّ المسلم الذي يفقه دينه حقًا؛ لا يفكر مطلقًا في إجبار الناس للدخول في الإسلام.. هذا، بالإضافة إلى أنَّه ليس مكلفًا بأنْ

(١) علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م، باب(فضائل الصحابة فضائل الفاروق ﷺ)، رقم، ٣٦٠١٠ ، جـ ١٢ ص ٨٧٣.

(٢) سورة المائدة، جزء من الآية، (٨).

(٣) سورة هود، الآية، (١١٨)، جزء من الآية، (١١٩).

(٤) سورة يونس، جزء من الآية، (٩٩).

يحاسب الناس على اعتقادهم، أو أنْ يعاقب الظالمين على ظلمهم، إنَّما حسابهم على الله تعالى يوم القيامة.

وعليه، "فالإسلام هو النظام العالمي الوحيد الذي احتوى على تشريعات يمكن أنْ يعيش العالم في ظلها في سلام ووئام، ولو في شبر واحد من الأرض، يهودًا ونصارى ومسلمين بل، وملحدين، إذا رضخوا لتوجيهات الإسلام مع بقائهم على عقائدهم، دون أنْ يضيق الإسلام ذرعًا بأحد منهم. وهذا ما لا وجود له في أي نظام آخر على وجه الأرض"(١).

(١) د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مبادئ التعايش السلمي العالمي. منهجًا وسيرة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

من خلال دراسة معالم وغايات الصراع في القرآن الكريم، تبين لي بعض النتائج، هي:

- إنَّ حالة التضاد والثنائية الموجودة في الإنسان ذاته، ما هي إلا حالة مصغرة لفكرة الصراع والتحدي الموجودة في الكون والخلق، فالصراع كامن في أعماق النفس البشرية حيث خلق الله فيها الشيء ونقيضه؛ الخير والشر، وعلة الصراع هنا هو إضفاء حالة من التدافع والحركة تحول دون فساد النفس البشرية والمجتمع.
- إنَّ أبرز المشكلات التي تعاني منها البشرية في العصر الحاضر. هي مشكلة انعدام تحقيق التّوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع. ولعل أصل المشكلة يرجع إلى تسلُّط المصلحة الشخصية على الفرد بنظرته الضيقة للأشياء؛ بحيث تصبح المصلحة والمنفعة هما المعيار الأول لأيِّ سلوكٍ يسلكه الفرد النفعي.
- لا يخلو مجتمع بشري من مجموعة علاقات تنشأ بينهم، أساسها الصراع والتّدافع والتّسابق والتنافس على المال أو الموارد أو الجاه والسلطان..، وهذه المقاصد لا يمكن لها أنْ تتحقّق بصورة عفوية، إنَّما تتأتي في سياق مجموعة نزاعات، تأخذ أشكالاً ومظاهر متعددة: فكرية أو سياسية، أو عقدية، أو اقتصادية ..إلخ.

وليس الباحث يردد ما قال به بعض الفلاسفة، إذ إنَّ مرادهم من سنة الصراع، هو صراع القوي الذي يأكل الضعيف، أو صراع الهيمنة. أمَّا سنة الصراع والتدافع في القرآن الكريم، فغاية وجودها هي التعايش السلمي مع الآخر، بلا نزاع أو معارك، أمّا إنْ حدث اعتداء من الآخرين، فإنَّ الإسلام لا بد وأن يرد هذا الاعتداء ويدفعه بما يناسبه.

- كشف البحث عن مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤصل لحقيقة حتمية الصراع، الذي هو في الأصل يعد قضية قديمة قدم البشرية، فهو سنة من سنن الله الثابتة الباقية أبد الدهر، ولا يكاد يخلو منها مجتمع، مهما بلغت درجة تطوّره. كما أكدت الآيات والأحاديث أنَّ حسم هذا الصراع لم ولن يكون إلا بالإيمان الصادق، إضافة إلى القوى المادية اللازمة، عندها يكون الاستخلاف

والتمكين في الأرض للأمة المؤمنة. أمّا الاعتماد على القوة المادية وحدها فمصيرها – حتمًا عاجلاً أم آجلاً – إلى النكوص والخذلان.

- يبدأ الصِّراع والنزاع عندما يستشري الظلم والفساد بحياة الناس. غير أنه يُعد بمثابة رمانة الميزان التي تعمل على تصويب وتقويم مسيرة الإنسانية كلها، من بداية الخلق إلى قيام الساعة، وقد تأكد هذا الصراع مع رسالة النبيﷺ.
- أوضح البحث أنَّ التعايش السلمي الذي شرعه الإسلام يُعد ضرورة حياتية، لا يمكن أنْ يستغني عنها الناس في أي زمان أو مكان– مهما بلغت درجة قوتهم – فقد شاءت إرادة الله أنْ تكون التعددية من السنن الثابتة، فتتعدد الأديان ويتعايش الناس في سلام. والإسلام بهذه النظرة العامة والشاملة تميز عن غيره برفضه لفلسفة الصراع من أجل المقاتلة. هذا التنازع الذي يؤدي بالضرورة إلى أنْ يصرع القوي الضعيف، فيزيله، وينتهي التنوع والتمايز الذي هو سنة من سنن الله في مخلوقاته. لذلك، فإنَّ الإسلام قد جعل من سنة الصراع أو التدافع، والذي من معانيها التنافس سنة كونية، لتكون حراكًا يُعدِّل المواقف ويُقوِّم الأنفس، ويُعيد التوازن والعدل، مع بقاء التنوع في ظل التعايش السلمي، والحوار المجتمعي الفعال بين مختلف الطوائف.

ثانيًا: التوصيات:

ظهر لي من خلال البحث في معالم وغايات الصراع في القرآن الكريم، وجود بعض الموضوعات التي تلمس هذه القضية، يُمكن إفرادها بالدراسة والبحث، منها:

- الصراع في السنة النبوية المطهرة، " دراسة في المعالم والغايات"
- الاختلاف المحمود والمذموم عند أهل السنة، نماذج من تاريخ المسلمين.

المصادر والمراجع

- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.
- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، المجتبى من السنن، مكتب المطبوعات الإسلامية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، ط٢، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م.
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، دراسة وتحقيق: حسين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس(ت١٢٢٤هـ)، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري(ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت. د.ت.
- د. الأزهر ضيف، أ. جميلة زيدان، نقد نظرية الصراع واسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخض، الوادي، العدد٢٠، ديسمبر، ٢٠١٦م.
- إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ه / ١٩٨٧م.
- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.
- جلال العالم، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدو أهله، د.ت.
- د. جمال محمود محمد الهوبي، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين والتربية، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- د. راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط٢، ٢٠٠٩م.

- رينولد نيكو لسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، طائفة من الدراسات قام بها، نقلها إلى العربية: أبو العلا عفيفي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.
- سامان نوح، دروس وعبر من سنوات الحرب وإعادة السلم في البوسنة والهرسك خلفيات وتداعيات صراع المكونات، بغداد، السليمانية، اذار، ٢٠١٨م.
- د. سعيد محمد حسين معلوي، وحدة الأديان في عقائد الصوفية، مع مقدمة عن الدعوة إلى وحدة الأديان في الديانات الوضعية والكتابية والفرق الباطنة وبين من ينتسب إلى الإسلام في العصر الحديث. مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، ١٤٣١هـ.
- شاكر عالم شوق، الاستشراق أخطر تحد للإسلام، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، شيتا غونغ، المجلد الثالث، ديسمبر، ٢٠٠٦م.
- د. شوقي إبراهيم علي عبد الله، في الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، دار الطباعة المحمدية، ٣ درب الأتراك بالأزهر، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الشيخ الركابي، الجهاد في الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٨١هـ/ ١٩٩٧م.
- صامويل فيليبس هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم، د. صلاح قنصوة، ط٢، ١٩٩٩م.
- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- د. عبد الرحمن بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي أبو القاسم(ت ٥٨١هـ)، الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- عبد العظيم إبراهيم المطعني، مبادئ التعايش السلمي العالمي. منهجًا وسيرة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري، الشورى والديمقراطية حقيقتهما وأهم الفروق بينهما، جامعة الملك سعود، الرياض. د.ت.

- عبد الملك بن هشام أبو محمد، السيرة النبوية، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- د. عبد الوهاب المسيري، الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية، أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني، د.ت.
- علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي أبو الحسن(ت٣٩٨هـ)، المعروف بابن سيدة، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي أبو الحسن(ت٣٩٨هـ)، المعروف بابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، د.ت.
- علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي ٨ ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- د. علي محمد الصلابي، السيرة النبوية دروس وعبر، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت.
- مجمع البحوث الإسلامية، لجنة من العلماء، التفسير الوسيط، د.ت.
- مجموعة من العلماء، عدد من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، إشراف الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، د.ت.
- محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي(ت١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي(ت١٣٩٣هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، تقديم: حاتم بوسمة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠١١م.
- محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٩٨٧م.

- محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي ابن القيم(ت٧٥١ه)، التفسير القيم للإمام ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي ابن القيم(ت٧٥١ه)، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ه/ ١٩٩٦م.
- محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور(ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
- محمد بن أحمد الخطيب الشربيني(ت٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله(ت٦٧١ه)، الجامع لأحكام القرآن، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤ه/١٩٩٣م.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ت.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، د.ت.
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني(ت١٣٥٤هـ)، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني(ت١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- د. محمد سعيد البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، دار الفكر، سوريا، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- د. محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، الإصلاح الفكري، والتربوي، والإلهيات، دار الشروق، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩م/ ٢٠١٠م.
- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، قطاع الثقافة، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
- محمود الألوسي أبو الفضل(ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- مصطفى مسلم، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، الطبعة الثانية، طبعة دار القلم الأولى، ١٤٢٠ه/١٩٩٩م.
- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.